جمعية المركز العالمي للتوثيق

والدراسات والتربية الإسلامية

سلسلة

نحو وعي اسلامي

١



فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين

بقلم

الدكتور/ محمد عمارة

جمعية المركز العالمي للتوثيق
والدراسات والتربية الإسلامية

سلسلة

نحو وعي اسلامي

١

فكر التنوير

بين

العلمانيين والإسلاميين

بقلم

الدكتور/ محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل ربى زدنى علماً)

فى شهر مارس ١٩٨٧ م عقد بمقر جامعة الدول العربية المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك شعاره « تربية الإنسان المسلم ». قام على تنظيمه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالتعاون مع الأزهر الشريف ورئاسة فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وبتدعيم من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ووزارة الاوقاف المصرية وبنك فيصل الإسلامى المصرى وعلى هامش هذا المؤتمر انعقدت ارادة جماعة من العلماء والمفكرين والمهتمين بالعمل الاسلامى من داخل جمهورية مصر العربية وخارجها على إنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وانطلاقاً من الحاجة الى مثل هذا المركز وتمشياً مع الصحوة الإسلامية التى يعيشها العالم الإسلامى وتقديرا لدور العلم والإعلام والتكنولوجيا والمعلومات صدر عن المؤتمر المذكور توصية بإنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وتنفيذاً لهذه التوصية تم اشهار المركز كجمعية مركزية سجلت تحت رقم ١٦٨ بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٩ م وفقاً لقانون الجمعيات رقم ٣٢

لسنة١٩٦٤ . وتم إنتخاب أعضاء مجلس الإدارة (احد عشرعضواً) برئاسة الاستاذ الدكتور/ حسن عباس زكى ، وبدأ نشاطه وفقاً للاهداف المرجوه والوسائل المعينة على تحقيقها والتى تضمنتها مطوية خاصة .ولما كان من أهداف المركز تنظيم الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات فقدتم بعون الله للمركز نشاطاً فى هذا المجال وتحقيقاً لأحد اهداف المركز الذى ينص على اعداد مكتبة اسلامية متخصصة ومتجددة وتسجيل المحاضرات والندوات والمؤتمرات التى يعقدها المجلس فى مطبوعات تنشر على نطاق واسع .

فإن جمعية المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية يسرها ان تقدم باكورة انتاجها فى مجال نشر الثقافة الإسلامية مستفتحة بما تراه خيراً كثيراً وهو المحاضرة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد عماره وموضوعها .

فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين

وإذا كان الموضوع اليوم فى بؤرة شعور المثقفين ومن محاور اهتماماتهم فإن صاحب الموضوع أحسن فى عرضه بدقة وامانه وموضوعيه وأستأذن القارئ فى أن أقدم انطباعى عن الموضوع وقد شرفت بالحضور والإستفادة . والمحاضر والكاتب الاستاذ الدكتور

محمد عمارة غنى عن التعريف فهو مفكر إسلامى شديد فيما يراه حقا مرابط صلب مكنّه الله من ثغرة فوقف منها واهباً لها حياته وقلمه وما يملك ، قد رأى المركز العالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية تقديراً منه لأهمية الموضوع ودسامة ما ورد فى المحاضرة أن تقدمه للقارىء فى كتاب

محتوى الكتاب

بدأ الباحث بعرض مصطلح « التنوير » فالتنوير لغةً وقت إسفار الصبح وبزوغ أشعة نور الصباح والرسول ﷺ يقـول « نوروا بصلاة الفجر » والقرآن نور الإسلام ، والرسول نور ، والحكمة نور ، والصلاة نور . فالمسلم بهذا المفهوم مستنير وله تنويره الاسلامى الخاص المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وألقى الضوء على مفهوم المصطلح فى الفكر الغربى باعتباره عنواناً على نسق فكرى محدد يسمى « فكر التنوير »، ومع مرحلة بعينها تسمى عصر التنوير ، ومع مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ويقابل هذا فى الفكر الاسلامى كما ذكره مجمع اللغة العربيـة بالقاهرة بأنـه « عنوان على نسق فكرى يمثل حركة فلسفية فى القرن الثامن عشر تعتد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الأخلاق وتقوم على

فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد ».

فالتنويريون إتخذوا لهم أئمة ودعاة وهداة منهم فرنسيس بيكون ، وفولتير ، روسو ، ومونتسكيو ، وجوتة ، وكانت ، وغيرهم ، بينما الاسلاميون يتخذون أئمتهم وهداتهم فى الفكر والرأى والأخلاق نبيهم محمد ﷺ الذى قال الله عنه « وما ينطق عن الهوى » وقال عنه « وإنك لعلى خلق عظيم » وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بطاعته « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ».

شتان بين الاتجاهين .. « اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟.. »

وترجع أهمية الكتاب فى أنه ألقى الضوء على حقيقة فكر الرموز الإسلامية الذين يحسبون ضمن سلة التنويريين أمثال على عبد الرازق .. وطه حسين ..وسلامه موسى والدكتور هيكل ، واحتكم إلى نصوصهم ، وأبان فى غير لبس براءتهم من بعض ما نسب إليهم .. فالطهطاوى مثلاً فى وصفه للحضارة الغربية يميز فيها بين « علوم التمدن المدني وبين الفلسفات » ويقول: « إنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية » ويصف بلاد الفرنج العظيمة بأنها مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات ،

وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانيه .. التى تجلب الأنس وتزين العمران .. ! ويستشهد المؤلف بمقولات جاءت فى كتاب الاعمال الكاملة للطهطاوى مثل .. كل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى ولاغيرها بالنفوس القاصرة ، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسيناً وتقبيحاً ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود ، بتعدى الحدود ، فينبغى تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لا يحظر جلب المنافع ولا درء المفاسد ، ولا ينافى التجددات المستحسنة التى يخترعها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة.

وكذلك فعل الباحث فى طرح فكر جمال الدين الأفغانى الذى دعا إلى بناء النهضة الحديثة مع الأصول الشرعية القديمة الموروثة .. وحذر من البدء من حيث انتهى الاوربيون .. فاستشهد بأقواله فى مجالات متعددة ، ورأيه فى موضوعات شتى كقوله فى التقليد واقتباس النمط الغربى.« لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ،المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء عليها وطلائع لجيوش الغالبين ، وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم ؟! » ويتساءل المؤلف مع أى فريق يقف الأفغانى ؟

مع التجديد الإسلامى ؟ أم مع التنوير الغربى العلمانى ؟؟!

أما الإمام محمد عبده فقد نفى عنه المؤلف مقولته الشهيرة التى تنسب إليه هى إنه حينما سافر إلى الغرب قال : « رأيت هناك مسلمين ولا إسلام ، ورأيت هنا إسلام ولا مسلمين » وبيّن بوضوح من أقوال محمد عبده وكتاباته والنصوص الثابته ما يؤكد أن هذه العبارة مدسوسة عليه فهو الذى قال عن الحضارة الغربية : « إن هذه المدنية هى مدنية الملك والسلطان ، مدنية الخَتْل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو « الجنية » عند قوم ، « والليرة » عند قوم آخرين .. ولا دخل للإنجيل فى شئ من ذلك ! »

ويسوق المؤلف نصوصاً عدة تثبت زيف ما ادعاه العلمانيون من تغيير فى فكر الإمام محمد عبده الذى تحدث عن إسلامية النهضة ، وإسلامية الدولة والعمران مما ينفى علاقة فكره بمفاهيم التنوير الغربى التى تلغى الدين وتكتفى بالعقل والتجريب .

وبهذا الإسلوب الرفيع والمنهج الرصين استمر المؤلف فى عرض فكر الشيخ على عبد الرازق تحليلا وإنصافاً للرجل الذى تراجع عن رأى له ورد فى كتابه « الاسلام وأصول الحكم » ورفض أن يعاد طبعه مرة أخرى ، وفى هذا الصدد يستمتع القارئ ببعض الأسرار التى توصل

إليها الكاتب بجهد ومتابعه ومشقة بحثاً عن الحقيقة التى هى ضالة المؤمن ..

وينتقل بنا المؤلف إلى فكر طه حسين تحقيقاً وتحليلاً ونقداً ..فكشف الغطاء عن تراجع د.طه حسين عن بعض افكاره التى وردت فى بعض كتبه مثل « مستقبل الثقافة فى مصر »و« فى الشعرالجاهلى » وكان فى هذا منصفاً للدكتور طه حسين حيث يقول المؤلف: « إن طه حسين الذى قال إن السياسة ليست مقوماً من مقومات الدولة ، والذى قال ، لا علاقة للدين بالسياسة .. وإن اللغة ليست مقوماً من مقومات وحدة الدولة هو نفسه بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ م قال : « إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية .. فغير بذلك موقفه وتراجع عنه » وهو الذى قال: عندما اختير عضواً فى لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ م .. « إذا وجد نص دينى صريح ، فالحكمة والواجب يقتضيان ألا نعارض النص ، وأن نكون من الحكمة ومن الاحتياط بحيث لا نضر الناس فى شعورهم ، ولا فى ضمائرهم ، ولا فى دينهم ... » وقال أيضا : « إذا احترمت الدولة الإسلام فلابد أن تحترمه جملة وتفصيلاً .. ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتاب وكفراً ببعضه الآخر .

وينتقل بنا المؤلف الواسع الاطلاع من دوحة إلى دوحة كالطائر

الخفيف ، ويقف متأملاً فى ثورة ١٩١٩ م وينفض عنها وعن زعيمها سعد زغلول إدعاء العلمانية .. ويعرض فى عجالة أفكاره وآراءه من نصوص ثابتة أبرزها نقده لكتاب على عبد الرازق « الإسلام وأصول الحكم » نقداً لاذعاً لا يترك فرصة لمن يدعى على الزعيم أنه علمانى

وبالأسلوب الرصين ذاته يتعرض المفكر الدكتور محمد عماره لآراء د. محمد حسين هيكل وأفكاره حيث بدأ حياته الأدبية رئيساً لتحرير جريدة السياسة ومن هذه القاعدة دافع هيكل عن على عبد الرازق وكتابه المشبوه « الاسلام وأصول الحكم » وكان ذلك عام ١٩٢٥ م . حتى إذا بلغ الرجل تمام نضجه السياسى والأدبى والفكرى عام ١٩٣٠م . بدأ مشروعه الاسلامى ونشر كتابه « حياة محمد » وفى عام ١٩٣٥ م نشر كتابه « فى منزل الوحى » وكلها قبسات من نور .. وبذلك اعتبر د. محمد حسين هيكل نموذجاً للإنسان حينما يتطور فكره ، فينفض عن نفسه غباراً علق بثيابه فى أوائل عهده بالكتابه شجاعاً غير هياب ولا وجل فالرجوع إلى الحق قيمة أصيلة وفضيلة عظيمة . ويعرض المؤلف قبسات من كتاباته المضيئه المعبرة عن هويته الإسلامية . وعلى هذا النسق ينتقل بنا المؤلف إلى تاريخنا الحديث بالمنهج ذاته الذى التزم به فيتعرض لفكر سلامه موسى ، وجابر عصفور .

أما تعليقات بعض الحضور على هذه المحاضرة القيمة فقد جاءت دليلا على أن الموضوع ذا أهمية خاصة ويشغل بال المثقفين .

إن من يقرأ هذا الكتاب يجد أن الأستاذ الدكتور محمد عماره منصف فى نقده ، عميق فى بحثه ، أمين فى فكره ، مدافع عن عقديته : فجاء كتابه هذا شعاعاً من الضوء المنير ومنهجاً سوياً يهتدى به الباحثون .. وهو بهذا الفكر يكون قد أضاف إلى المكتبة العربية الإسلامية كتاب له أهمية خاصة لابد أن يقرأه المثقفون ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ؛ وليميز الله الخبيث من الطيب .

والشكر واجب توجيه لمن يستحقه والدكتور عماره بهذا الجهد مستحق للشكر ، أما الأجر فما عند الله خير وأبقى . والشكر كذلك مستحقاً لجمعية« المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الاسلامية » أن أتاحت الفرصة لنشر هذا الفكر والاسهام فى مسألة التنوير الاسلامى والله من وراء القصد موفقاً ومعيناً .

مستشار / على احمد حمدى

* بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه وسار على طريقه الى يوم الدين ..

أيها الاخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

فى الاسابيع الأخيرة كثر الحديث فى وسائل اعلامنا عن قضية التنوير ، بل ورأينا سلسلة من الكتب تصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، لأول مرة فى تاريخ دار من دور النشر ، حيث تصدر كل يوم كتاباً بثمن زهيد لا يبلغ ثمن غلاف الكتاب (٢٥ قرشا) .. وحقيقة نحن سعداء أن تصدر الدولة الكتب بهذا السعر الزهيد .. ولكن القضية التى تحتاج الى مناقشة هى موضوع هذه الحملة وقضية التنوير .. وهذه القضية ليست بنت هذه الأسابيع القليلة ، ولا هذه السلسلة من الكتب فكلنا شهد فى سنة ١٩٩٠ فى « معرض القاهرة الدولى للكتاب » أن الموضوع الرئيسى للمحاضرات والندوات تم تحت عنوان « مائة عام من التنوير »

---

* محاضرة القيت فى الموسم الثقافى الذى ينظمه « المعهد العالمى للفكر الاسلامى » و« الجمعية العربية للتربية الإسلامية » بالقاهرة فى ٢٤ ذى القعدة عام ١٤١٣ هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣ م . وأدار حوارها د. على جمعة .

وأذكر أننى شاركت فى ندوة فى ذلك العام .. حضر فيها مجموعة من دعاة ما يسمى بالتنوير ، وعلى رأسهم الأساتذة :

أدونيس ، ومحمود أمين العالـم . ود. عبـد العظيم رمضان ، ود. هـدى وصفى ، ود. غالى شكرى .. وكـان مفروضاً أن يحضر د. لـويس عوض لكنه كـان قـد سافـر إلى باريس للعلاج عـلى نفقـة الدولة .

وفى عام ١٩٩٢ احتفلت دار الهلال - كذلك - بمرور مائة عام على ظهور مجلة الهلال .. وتم الإحتفال تحت شعار : « مائة عام من التنوير » .

وفى الأسابيع الأخيرة ، والكتب التى صدرت .. وجدنا الكتب تحمل عنوان : « التنوير » ويتحدث بعضها عن « محنة التنوير » فالذين رفعوا شعار « مائة عام من التنوير » هم الذين قالوا أن مشروع التنوير تحول على يد المد الإسلامى واليقظة الإسلامية الى « محنة للتنوير » !

والقضية كما يعرضونها هى : أن حركة التجديد والاحياء واليقظة ، بدءاً من جمال الدين الأفغانى ، وقبله رفاعه الطهطاوى ، ثم محمد عبده والكواكبى .. وأيضا طه حسين ، وغيرهم من المفكرين

تحولت على يد الحركة الاسلامية الى محنة للتنوير الذى أتى به هؤلاء.

وسأبدأ حديثى بأن أشير الى كلمات كتبت منذ أيام بجريدة « الحياة » - اللندنية بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤١٣ هـ ١٠ مايو ١٩٩٣ ، ثم فى ٢٢ ذو القعدة - ١٣ مايو حيث كتب أحدهم فى تلخيصه لمشروع طه حسين بأنه: « تحقيق عصر أنوار عربى يكون العقل فيه سيد الأحكام » وهذه نقطة تحتاج لأن نتأملها لنعلم معنى ومضمون « التنوير » الذى يتحدثون عنه .. هذا « التنوير » يكون العقل فيه سيد الأحكام ، فلا ينازعه ولا يخاصمه أى خصم آخر مهما كان له فى صدور الناس وأفئدتهم من إعزاز وإكرام .

وهنا يشيرون الى الدين ، أى أنهم يريدون أن يقولوا بصراحة - ونحن نحمد لهم هذه الصراحة - أن المقصود بالتنوير - هو الفكر الذى لا مجال فيه إلا لأحكام العقل ، ولا منافس ولا خصم للعقل ، مهما كان هذا المنافس له فى قلوب الناس وأفئدتهم من اعزاز واكرام.

ونحن فى هذه المحاضرة - ان شاء الله - سوف نميز بين مضمون هذا التنوير الذى يقصدونه ، ومفهومنا نحن لنفس المصطلح من تراثنا الاسلامى .. فهذا التنوير الذى قالوا عنه أنه مشروع

د. طه حسين هو نفسه الذى قال عنه الدكتور زكى نجيب محمود بأنه من عشرينيات هذا القرن إلى الخمسينيات أو الستينيات هذه الحقبة تسمى « عصر طه حسين » وكاتب آخر فى نفس جريدة « الحياة » كتب عن حملة الكتب التى تنظمها الهيئة العامة للكتاب تحت عنوان « رموز التنوير فى المواجهة » كتب يقول : « ينظم المثقفون فى مصر حملة إعلامية كبيرة ، بالتعاون مع السلطات الرسمية شعارها « المواجهة » ، فيصدرون كتيبات تعيد النهضويين الى دائرة الضوء ، وينظمون مهرجانات فى سائر المحافظات ، يعرّفون برموز النهضة ودعاتها فى القرن الماضى ومطلع القرن الحالى » .. و « رموز التنوير فى مواجهة الظلاميين » الطهطاوى ومحمد عبده والأفغانى وعلى عبد الرازق وطه حسين فى مواجهة « الحركة الاسلامية السياسية » !

التنوير في المصطلح الغربى :

النقطة الأولى فى حديثنا حول هذه القضية أننا نريد أن نعلم ، من الفكر الغربى ، مضمون هذا المصطلح الغربى .. خاصة وأن مضمونه الغربى نشأ فى حقبة محددة من حقب تطور الفكر الغربى ، ولذلك عندما يقال « فكر التنوير » يُراد به فكر فلاسفة محددين ، نشأوا فى مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر الغربى .. وعندما يقال :.

« عصر التنوير » يقصد به القرن الثامن عشر فى تسلسل حقب الفكر الغربى .. وعندما يقال : هذا من فكر التنوير .. يراد به لون محدد من ألوان الفكر فى إطار تطور الحضارة الغربية ..

فالتنوير - كمصطلح شائع - أوربى النشأة والمضمون والايحاءات ، وهو عنوان على نسق فكرى محدد يسمى فكر التنوير ، وعلى مرحلة بعينها تسمى « عصر التنوير » ، وعلى مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ، ومجمع اللغة العربية عندما أراد أن يُعَرِّف مصطلح التنوير قال أنه « عنوان على نسق فكرى يمثل حركة فلسفية ، فى القرن الثامن عشر تعتد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الاخلاق ، وتقوم على فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد » . وعندما يقال هذا الكلام فى مجتمع كانت السلطة فيه كهنوتية ودينية ولاهوتية كنسية ، وكانت التقاليد تقاليد كنيسية ، وعندما يقال « الاستقلال بالرأى بواسطة العقل » فمعناه الاستقلال عن الدين المسيحى فى ذلك التاريخ ، اذن فى التعريف المجمعى لهذا المصطلح ، كما ظهر فى القرن الثامن عشر ، أنه : « حركة عقلية للاستقلال بالسلطة والرأى عن الدين والكنيسة واللاهوت فى ذلك التاريخ » .

وأحد دعاة التنوير وتلامذته فى مصر ، وهو د . مراد وهبه يُعَرِّف

التنوير بعبارة أرى أنها من أدق العبارات التى تُعَرف هذا التنوير كما عُرف فى الحضارة الغربية فيقول : « التنوير يعنى أنه لاسلطان على العقل إلا للعقل »إذن ، لا غيب ، ولا وحى ، ولا شريعة ، ولا إلـه ولا دين .. فكل هذه السلطات لا يعترف بها هذا المضمون من مضامين التنوير ، وهذه الفلسفة للتنوير .

والدكتور مراد وهبه ، وهو أكثر من كتب عن التنوير، عندما يتحدث عن مقاصد التنوير – كما يبشر بها – يقول : إنها الخروج من الاسطورة – أى الدين – الى العقل ؟ ! . وهويقصد الدين الاسلامى بكلمة الاسطورة ؟!. والذين كتبوا عن التنوير من الغربيين يقولون إن جذور التنوير تعود الى القرن السابع عشر ، وبالتحديد الى فرنسيس بيكون ، الذى « يرفض تدخل الدين فى المعرفة ، لأن الدين يحد من كل ألوان المعرفة » .

اذن منذ اللحظة الأولى كان مضمون مصطلح التنوير فى خندق معاد للفكر الدينى بأعتبار أن الدين – عندهم – يحد من ألـوان المعرفـه .. وعند فرنسيس بيكون أيضاً أن التنوير « يُحل آلهة التنوير محل الله والدين » وهذه الآلهة – في رأيه – هى « العقل والعلم والفلسفه » وفي القرن الثامن عشر عُرِّف من مفكرى عصر التنوير (فولتير ١٧٣٤

- ١٧٧٨م) ، (روسو ١٧١٢ - ١٧٧٨م) ، (مونتسكيو ١٦٨٩ - ١٧٦٦م) ، (هيردر) ، (ليسنج ٧٢٩ - ١٧٨١م) (شيلر ١٧٦٩- ١٨٠٥م) ، (جوته ١٧٤٩ - ١٨٣٢م) (كانت ١٧٢٤ - ١٨٠٤م) ... وعند فولتير نجد أن التنوير « يعنى تمجيد العقل ، بديلاً عن قداسة الدين » و « محاربة الكنيسة » و « انكار الغيب والبعث والجزاء الأخروى » و « النفس ليست الا حياة الجسم ، تفنى بفنائه » و « ليس هناك وحى مقدس سوى الطبيعة » .

هـذا الفكر التنويرى عندما جاءت الثوره الفرنسيه تمثل فى« إلهة العقل » « الحساء » التى عبدوها من دون الله .. ورمزوا بها للعقل .. والمقوله التى قالوا فيها : إنهم أنزلوا الله من ملكوته مع انزال أسرة البوربون عن العرش » !! . والذين يتحدثون من أبناء جلدتنا ، من اخواننا العلمانيين عن مصطلح التنوير يقصدون ما أشرت اليه من معانى لمصطلح التنوير هذا فى نشأته الاوربيه ! .

التنوير فى المصطلح الاسلامى :

إذا كان هذا هو المفهوم الغربى للتنوير : فعلينا ، قبل أن نتحدث عن فكر الرموز التى يضعونها فى خندق التنوير ، ويقولون إنها تمثل التنوير بهذا المعنى الغربى وقبل أن نكشف زيفهم وتشويههم لرموز فكرنا

وإحيائنا وتجديدنا عندما يضعونهم فى المستنقع المادى الذى يسمونه التنوير :

علينا أن نسأل هل لمصطلح التنوير فى معاجمنا ومصطلحاتنا معان متميزة عن هذه المعانى الغربية ؟ سندهش إذا علمنا أن قواميسنا العربية والإسلامية تضع للتنوير معانى لا علاقة لها على الإطلاق بهذه المعانى الغربية التى أشرنا إليها فالتنوير فى المصطلح العربى يعني « وقت إسفار الصبح .. وبزوغ أشعة نور الصباح » ... ورسول الله -ﷺ- يقول «نوروا بصلاة الفجر - رواه الدرامى - ... والقرآن يوصفه فى آياته بأنه نور ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا ﴾ - التغابن اية ٨ ... والاسلام نور ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ - البقرة : ٢٥٧ - والرسول - ﷺ - نور ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ - المائده ١٥ -.. والحكمه نور ﴿ فأن الله يحيى القلوب بنور الحكمه ﴾-رواه مالك فى « الموطأ »- والصلاة نور « الصلاة نور المؤمن » - رواه مسلم ...

فالمؤمن بذلك كله « مستنير » .. وله « تنويره » الاسلامي الخاص ... ومصطلح التنوير هذا يعود بنا الي قصة العديد من

المصطلحات التي لها مضمون في فكرنا يختلف تماماً عن مضمونها فى الفكر الغربى ، كمصطلح « اليسار » ، فهو فى الفكر الغربي الذى يعني : الأُجراء وأهل الفقر ... بينما اليسار في المصطلح الاسلامي هم أهل الغني واليسر والثراء ! .. « واليمين » هم أهل الرجعيه والجمود ، في الفكر الغربي ، وهم ، فى الاسلام ، أهل القوة والتقوى والصلاح الذين يعطون كتبهم بيمينهم يوم القيامه ... اذن القصه تبدأ من تحرير مفهوم المصطلح .

من المؤسف أن دعاة التنوير الغربى حينما يعددون رموز التنوير بالمعني الذى يقصدون يأخذون العديد من رموز التجديد والاحياء الاسلامى فيضعونهم في « سلتهم » ونحن في هذا الموقع نريد أن تدعوهم الي كلمة سواء ، نريد أن نحتكم الى نصوص هؤلاء المجددين وهؤلاء العلماء (الطهطاوي والافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول ومحمد حسين هيكل في نفس « السله » مع على عبد الرازق ، وطه حسين ، وسلامه موسى. فإذا كانوا فعلاً يقولون بهذا اللون الغربى من التنوير « لاسلطان علي العقل الا للعقل » « وأنه لاسلطان للدين » ... اذا كان هؤلاء الرموز يقولون بهذا المفهوم من التنوير ... تلقيهم اليهم ويصبحون من رموزهم ، أما اذا كانوا يزيفون ويريدون أن يستلبوا منا

رموزنا .. فنحن نردهم لنصوص هؤلاء الأعلام والرموز لتشهد بيننا وبينهم ونقول: هل كان هؤلاء ينادون بهذا المعنى من التنوير ؟ أم أنهم كانوا يستنيرون بالاسلام ، ويجددونه ويريدون أن تنهض أمتنا وفق مشروع حضارى ينطلق من فكر الاسلام ووحيه ؟؟ ..

ومن الأسف الشديد أن بعض الاسلاميين يتخدعون ويسلمون هذه الرموز للعلمانيين ... ولذلك كان ضروريا أن نحتكم لنصوصهم ، بأقوال نوجهها الى العلمانيين والاسلاميين على السواء ! .

الطهطاوي : (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣ م)

هل كان الطهطاوى ممن يقول بالعقل فقط؟ أم أنه انتقد الحضاره الغربيه لأنها ترجع فقط الى براهين العقل، والى النواميس الطبيعيه وحدهما؟ لقد أنكر الطهطاوى على الحضارة الغربية هذه الوضعية وقال:«إننا لا نعتد بالتحسين والتقبيح العقليين إلا إذا ورد الشرع بالتحسين والتقبيح» وهذا هو القيصل. فاذا كان الطهطاوى قال بالعقل وحده كمصدر للتحسين والتقبيح يكون مع هؤلاء المتنورين بهذا المعني الغربى ، أما اذا كان قد اعتمد علي كتاب الوحى وكتاب الكون،واضاف الشرع الى العقل، بل وقال إن التحسين والتقبيح لاقيمة له الا اذا كان بالشرع. نقول عندئذ إنه أول رائد مـن رواد التجديد والاحياء بل وأول عين للشرق على الغرب فى عصرنا الحديث لم يكن مع هؤلاء المتغربين بل ان نصوصه تشهد ضدهم. بل ان كتابه «تلخيص الأبريز» الذى نشرته الهيئة فى سلسلة كتب التنوير، يشهد ضدهم، حيث يصف الطهطاوى الحضارة الغربية، مميزاً فيها بين «علوم التمدن المدني» وبين «الفلسفات» ويقول:«أنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة كل الكتب السماوية». ويتحدث عن إلحاد ولا

دينيـــة الحضـــارة الغربيـــة ، ويتعجب كيف أنهـــا تجمـــع بـين العلوم المدنية وهذه الألوان من « الإلحاد »: ويبدأ النص الآتى في كتابة بيتين من الشعر يقول فيهما :

أيوجد مثل باريس ديار ∴ شموس العلم فيها لاتغيب

وليل الكفر ليس له صباح ∴ أما هذا ، وحقكم ، عجيب !

ثم يقول : « فهذه المدينة ، كباقى مدن فرنسا وبلاد الافرنج العظيمة ، مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات ، وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانيه ... التى تجلب الأُنس وتزين العمران !

ان أكثر أهل هذه المدينه انما له من دين النصرانيه الأسم فقط ، حيث لايتبع دينه ، ولاغيرة له عليه ، بل هو من الفِرَق المُحسِّنة والمُقَبِّحَة بالعقل ، أو فِرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك فهو لايصدق بشيء مما في كتب أهل الكتاب ، لخروجه عن الأمور الطبيعية ... إن كتب الفلسـفة بأسرها محشوة بكثير من هذه البدِع المخالفة لسائر الكتب السـماوية ، وإن تحسـين النواميس الطبيعية لا يعتد به الا اذا قرره الشارع ... والتكاليف

الشرعية والسياسية التى عليها نظام العالم ، مؤسسة على التكاليف العقلية الصحيحة ، الخالية من الموانع والشبهات ، لأن الشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التى يعلم حكمتها المولى سبحانه وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد» الشرع بتحسينة أو تقبيحه » .

هل هناك فجور أكثر من أن يوضع صاحب هذا النص فى مستنقع التنوير بالمعنى الغربى ، الذي يقول : « لاسلطان على العقل إلا العقل » ؟!

ولنواصل قراءة ماكتبه الطهطاوي حيث يقول : « والذي يرشد الى تزكية النفس هو سياسة الشرع ومرجعها الكتاب العزيز الجامع لأنواع المطلوب من المعقول والمنقول ، مع ما اشتمل عليه من بيان السياسات المحتاج اليها في نظام أحوال الخلق ، كشرع الزواجر المفضية الى : حفظ الأديان ، والعقول ، والأنساب ، والأموال ، وشرع ما يدفع الحاجه علي أقرب وجه يحصل به الغرض ، كالبيع والاجارة والزواج وأصول أحكامها ، فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لاتثمر العاقبة الحسنى ، ولاعبرة بالنفوس القاصرة ، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا اليها تحسينا وتقبيحاً ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود

بتعدى الحدود ، فينبغى تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لابطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لايحظر جلب المنافع ولادرء المفاسد ولاينافى التجددات المستحسنة التى يخترعها من منحهم الله تعالي العقل والهمهم الصناعة » (١)

هذا هو نص الطهطاوى الذى يبدأون به سلسلة أعلام التنوير !!

ثم يتحدث الرجل عن الجمع بين علوم الوحى.. وعلوم الكون فيقول «إن مدار سلوك جادة الرشاد والاصابة ، متوط- بعد ولى الأمر- بهذه العصابة « طلبة الأزهر وأهله » التى ينبغى أن تضيف إلى ما يجب عليه من نشر :

أ - السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيفة .

ب - معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التى لها مدخل فى تقدم الوطنية ... وأن هذه العلوم الحِكميْة العملية ، التى يظهر الآن أنها أجنبية ، هى علوم أسلامية ، نقلها الأجانب الى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم تزل كتبها الى الآن فى خزائن ملوك الاسلام كلذخيرة (٢) .

ومن الإفتراءات التى يفترون بها على الطهطاى دعواهم أنه ترجم

---

(١) [الأعمال الكاملة] جـ٢ صـ ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٧٩ ، ٣٢ ، ٤٧٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة طبعة بيروت ١٩٧٣م

(٢) المصدر السابق جـ١ صـ ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

قانون نابليون ، كي يكون هذا القانون شريعة التقاضي والحكم في بلادنا !! وهذا الكلام كتبه لويس عوض عندما كتب دراسة في مجلة « المصور » عنوانها « مصر علمانية من محمد على الى عبد الناصر» (١)

ولقد قمت بالرد عليه في كتابي « العلمانية ونهضتنا الحديثة » وأتيت بهذا النص من نصوص الطهطاوى .

نعم لقد اشرف الطهطاوى علي ترجمة قانون نابليون (القانون التجارى وبعض القوانين الأخرى) .. لكن لماذا ترجمها ؟

الطهطاوى يقول : في مبرراته للترجمة ، أنه قد زادت المخالطات بيننا وبين الغرب وتكونت المجالس التجارية لتفصل في المنازعات بين التجار العرب والشرقيين وبين الأجانب ... فأردنا أن نعرف كيف يحكم هؤلاء الأجانب في بلادهم ؟ وبأى قانون ؟ حتى نعلم خلفيتهم القانونية والفكر الذى يحكمون به .. أى أنه لم يترجمها لكى تحكم بها بلادنا وأنا أنقل إليكم نص كلام الطهطاوى ، والعلمانيين ، وأيضاً للإسلاميين المخدوعين في رموزنا حتى ليعطونهم لقمة سهلة لهؤلاء المتغربين ؟!

---

(١) مجلة المصور : أعداد : ٢٣ / ٩ و ٣٠ / ٩ و ٧ / ١٠ / ١٩٨٣ م.

يقول الطهطاوى فى مقدمة ترجمة « مجموع قوانين نابليون » وهى المدنية والبلدية ، والمحاكمات ، والمرافعات ، وتحقيق الدعاوى ، والمدافعات والحدود والجنايات (١) لقد صدر الأمر العالى الخديوى بتعريبها - (تعريب القوانين) - حتى لايجهل أهل هذا الوطن أصول الممالك الأخرى ، لاسيما أن علاقات الاقتضاء ، ومناسبات الأخذ والعطاء ، تدعو الى الالمام بمثل تلك الأصول الوضعية ، ليكون من يتعامل معهم في تسوية الأمور على بصيرة (٢) ..

ثم يقول في مقدمة تعريب قانون أحكام التجارة (٣) « وهذا القانون التجارى مما تمس الحاجة اليه فى غالب الأحوال والأوقات ، حيث اتسعت الان فى مصرنا دائرة المعاملات بين اهالي الممالك الأوربية وكثرت التعلقات ، فصار لابأس لأرباب التجارة بمعرفة قوانين المعاملة الجارية عند الأجانب ، بل صار الاطلاع عليها لمن يعقد عقود التجارات معهم من الواجب » (٤) .

---

(١) طبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هـ . سنة ١٨٦٦ م .

(٢) ((الأعمال الكاملة))جـ ٥ ص ٣٦٧

(٣) طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ سنة ١٨٦٨ م .

(٤) الأعمال الكاملة جـ ٥ ص ٣٦٩ .

وبعد سنوات ، وعندما ازداد نفوذ الأجانب في مصر ، وسلمت الحكومة المصرية بأن قوانين نابليون التجارية يجب أن يُقضي بها في المجالس التجارية المختلطة (الكومسيون المختلط) ... ماذا كان موقف الطهطاوى من هذا الاختراق ؟ لقد وقف ضده وتكلم عن الشريعة الاسلامية معلنا كيف أنها وافية بالغرض- وما نطالب به نحن الآن من ضرورة تقنين الشريعة الاسلامية - نجد الطهطاوى كتبه بنفس التعبير - « التقنين » - ودعا اليه ، فقال : أن مخالطات تجار الغرب ومعاملتهم مع اهل الشرق انعشت نوعاً همم هؤلاء المشارقة ، وجددت فيهم وازع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع انتظام ، حيث ترتب الآن فى المدن الاسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوي والمرافعات بين الأهالي والأجانب ، بقوانين في الغالب أوربية ، مع أن المعاملات الفقهية لو انتظمت ، وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق ، بتوفيقها على الوقت والحالة ، مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولاة الامور المستيقظين .. ولكل مجتهد نصيب ! .. ومن أمعن النظر في كتب الفقه الاسلامية ظهر له أنها لاتخلو من تنظيم الوسائل النافعه منالمنافع العمومية ، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبوابا مستوعبة للاحكام التجارية ، كالشركة والمضاربة ، والقرض ، والمخابرة ، والعارية

والصلح وغير ذلك »

ثم يضيف « أن بحر الشريعة الغراء ، على تفرع مشارعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحياها بالسقى والرى ، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ... لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع .. » (١)

هذا هو الطهطاوى ، الذى دعا الى أن تكون المرجعية ليست للعقل فقط وانما للشرع أيضاً .. والذي تكلم عن أن بحر الشريعة الغراء واف بكل المتطلبات ودعا الى توفيقها على الوقت والحال – الذي نتكلم نحن عنه الان باسم « التقنين » والاجتهاد في الامور المستحدثه.

هل هذه النصوص التى نحتكم اليها ، والتي كتبها الطهطاوى في أوائل حياته في « تخليص الابريز » واستمر عليها الى أواخر حياته الفكرية ، فى آخر كتبة وهو « مناهج الالباب » ١٨٦٩ – .. بل وفي «كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين » الذي كتبه فى السبعينيات حين فُتحت مدارس البنات في مصر من القرن الماضي .. هل هذا الموقف الثابت من الطهطاوى على امتداد مشروعه الفكرى ، يجعل هناك مجال لأن يُحشر هذا الشيخ الجليل في زمرة دعاة التنوير بهذا المعني الغربى ؟

---

(١) المصدر السابق جـ ١ صـ ٥٤٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

جمال الدين الافغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧م)

وجمال الدين الأفغانى ، الذى يحشرونه في هذه الزمرة - زمرة التنوير الغربى - نحن نعتبره الرائد الذى ارتاد اليقظة الاسلامية الحديثة ، التي نحن الامتداد المتطور لها ..فكل المستنيرين ، والمجددين ، ومدرسة التجديد والاحياء ، وما نسميها باليقظة أو الصحوة الاسلامية هى امتداد متطور لمدرسة الافغانى .. وعجبا لهؤلاء الذين يريدون أن يضعوه في مستنقع الفكر « الوضعى الغربى » !

الافغانى دعا الى بناء النهضة الحديثة على الاصول الشرقية القديمة الموروثة .. وحذر من « البدء من حيث انتهى الاوربيون » .. ونقد التحديث على النمط الغربى .. بل ويصف دعاة البدء من حيث انتهى الأوربيون بأنهم طابور خامس يفتحون ثغرات الاختراق في جدار مقاومة الأمة ، ليفتحوا الميادين لجيوش الغزاة ! يقول: أن الظهور فى مظهر القوة لدفع الكوارث ، انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها اباء الشرقيين وأسلافهم .. ولا ضرورة ، فى إيجاد المنعة ، إلى إجتماع الوسائط وسلوك المسالك التى جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى ولا ملجيء للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الأوربى

في نهايته ، بل ليس له أن يطلب ذلك ، وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أوقر (أعجز) نفسه وأمته وقرا أعجزها وأعوزها [1] وعن الإزدواجية فى التعليم قال : « لقد شيد العثمانيون عدداً من المدارس على النمط الجديد ، وبعثوا بطوائف من شبابهم الى البلاد ليحملوا اليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب وكل ما يسمونه « تمدنا » .

وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى ! فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك؟ « وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة » نعم .. ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية ، وماشاكلها .. وسموا أنفسهم زعماء الحرية ! .. ومنهم اخرون قلبوا أوضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية ، وسائر الماعون وتنافسوا فى تطبيقها على أجود مايكون منها فى الممالك الاجنبية ، وعدوها من مفاخرهم ، فنفوا بذلك ثروة بلادهم الى غير بلادهم وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم! وهذا جدع لأنف الأمة ،

---

(١) (الاعمال الكاملة) صـ ٥٣٣ . دراسة وتحقيق لـ د.محمد عماره .طبعة القاهرة ١٩٦٨م

يشوه وجهها ويحط بشأنها ، لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الاعداء اليها .. وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغازات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم ؟ [1] « الأعمال ص ١٩٥ -١٩٧ » .

وهذا النص نهديه للمتغربين لدراسته وليقولوا لنا مع أى فريق يقف الأفغانى ؟ مع التجديد الإسلامى ؟ أم مع التنوير الغربى العلمانى ؟؟! .

---

(١) المصدر السابق . ص ١٩٥ - ١٩٧

الامام محمد عبده

(١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م)

يزعم دعاة التنوير الغربى أن الامام محمد عبده هو زعيم التنوير ، الذى تحول ، على يد الحركة الاسلامية ، الى « محنة للتنوير » والمدهش أن هؤلاء ينسبون لامامنا محمد عبده كلمة - وانا الذى بحثت فى كل كتبه واعماله لمدة خمس سنوات .. فلم أر تلك الكلمة التى يزعمون نسبتها اليه ، وهى أنه حينما سافر الى الغرب قال « رأيت هناك مسلمين ولا اسلام ، ورأيت هنا إسلام ولا مسلمين »

متى وأين قال هذا الكلام ؟ أنا أنتظر من أى شخص يدعى أن محمد عبده هو قائل هذه العبارة أن يدلنا على المصدر ؟ !

فما بالنا ولدينا نصوصاً ثابتة قالها ، تنفى جملة وتفصيلا هذه العبارة الزائفة ؟! فقد رد على « هانوتو » وزير خارجية فرنسا وعلى بشارة تقلا ومقالاته فى « الاهرام » . فقال محمد عبده عن الحضارة الغربية : « ان هـذه المدنية ـ مدنية الملك والسلطان ، مدنية الختل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هـو « الجنيه » عند قوم « والليرة »

عند قوم آخرين ، ولا دخل لأنجيل فى شئ من ذلك »[1] ، وفى نقده للحضارة الغربية انتقد السلطة الدينية والكهانة فى اوربا فى العصور الوسطى .

وبالمناسبة ، أسوق اليكم ، تزييف دعاة التنوير – وهم تلامذة العلمانية – حينما نشروا كتاباً لمحمد عبده يحمل اسم « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » فقاموا بحذف كلمة النصرانية فأصبح عنوان الكتاب « الاسلام بين العلم والمدنية » وفى الكتاب نقد موضوعى من محمد عبده للنصرانية .. لكنهم خجلوا أن يذكروا عنوان الكتاب كما كتبه صاحبه.. وحتى العنوان الذى كتبوه لا معنى له ، فما معنى « الاسلام بين العلم والمدنية » ؟ بل .. وهذه هى الطامة الأكبر – فلقد حذفوا ما كتبه بهذا الكتاب عن النصرانية .. ووضعوا بدله مقالات له لا علاقة لها بالكتاب ؟! ..

ذلك أن محمد عبده كتب هذا الكتاب رداً على « فرح أنطون » الذى نشرت له « الهيئة » كتاباً فى سلسلتها عن ابن رشد – ولم يذكروا أن محمد عبده رد على هذا الكتاب « ابن رشد » حين نشره

(١)(الاعمال الكاملة)جـ٣ صـ ٢٠٥ . دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت عام ١٩٧٢ م ..

فرح أنطون، خاصة وأن فرح أخذ كلام « رينان» عن أبن رشد ، وقال: أن أبن رشد « فيلسوف مادى قاعدة مذهبه العلم» فرد محمد عبده على شرح رينان وقال : أن ابن رشد « فيلسوفاً مؤمن» وفند أن يكون فيلسوفاً مادياً أو ملحداً .

ينتقد محمد عبده الكهانة والسلطة الدينية فى أوربا فى العصور الوسطى ، فيقول : « ان الاسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية .. التى عرفتها أوربا .. فليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير من الشر .. وهى سلطة خوّلها الله لكل المسلمين ، أدناهم وأعلاهم .. والأمة هى التى تولى الحاكم وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه ، وهى تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدنى من جميع الوجوه ، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الأفرنج « ثيوكراتيك » أى سلطان إلهى .. فليس للخليفة .. بل ولا للقاضى ، أو المفتى أو شيخ الاسلام أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية ، قدرها الشرع الاسلامى ..

فليس فى الاسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه ، بل إن قلب

السلطة الدينية ، والاتيان عليها من الأساس ، هو أصل من أجل أصول الاسلام !.. (١) .

والامام محمد عبده تحدث كذلك عن وسطية الاسلام فقال : « ظهر الاسلام ، لا روحياً مجرداً ، ولا جسدانيا جامداً ، بل إنسانيا وسطا بين ذلك ، آخذا من كل القبيلين بنصيب ، فتوفر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، ولذلك سمى نفسه : دين الفطرة ، وعرف له ذلك خصومه اليوم ، وعدوه المدرسة الأولى التى يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية.. »

ان الاسلام دين وشرع فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً. ولا تكتمل الحكمه من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود ، وتنفيذ حكم القاضى بالحق ، وصون نظام الجماعة .. والاسلام لم يدع ما لقيصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصره على ما له ، ويأخذ على يده فى عمله ، فكان الاسلام : كمالا للشخص ، وألفة فى البيت ، ونظاما للملك » .

لماذا لا يبرز هذا النص الذى يتحدث عن شمول شرع الاسلام للفرد والأسرة والدولة .

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٣٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ .

وحينما جاء محمد عبده ليتكلم عن مشروع النهضة .. كيف ننهض ؟ وما المرجعية لنهضتنا ؟ .. نجده يقول : « أهل مصر قوم أذكياء .. يغلب عليهم لين الطباع ، واشتداد القابلية للتأثر ، لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية ، وهي أن البذرة لا تنبت في أرض الا اذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ، ويتنفس بهوائها ، والا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ، ولا على البذرة وصحتها ، وانما العيب على الباذر .. أنفس المصريين أشربت الانقياد الى الدين ، حتى صار طبعاً فيها ، فكل من طلب اصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التي أودعه فيها ، فلا تنبت ، ويضيع تعبه ، ويخفق سعيه ، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية ، من عهد محمد على الى اليوم .. فان المأخوذين بها لم يزدادوا الا فساداً ، وان قيل أن لهم شيئاً من المعلومات، فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم » .

ويضيف : « إن سبيل الدين لمريد الاصلاح في المسلمين ، سبيل لا مندوحة عنها ، فان اتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين ، يحوجه الى انشاء بناء جديد ، ليس عنده من مواده

شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً »

ثم يتساءل : « وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق ، وصلاح الأعمال ، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها ، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم فى غيره ، وهو حاضر لديهم ، والعناء فى ارجاعهم اليه أخف من احداث ما لا الما لهم به ، فلم العدول عنه الى غيره ؟؟ » (١) .

فهو يتحدث عن « إسلامية النهضة » وإسلامية الدولة والعمران .. فهل لهذا الفكر علاقة بمفاهيم التنوير الغربى التى تنفى الدين ، وتكتفى بالعقل والتجريب !؟ ..

---

(١) المصدر السابق : ج ٣ صـ ٢٣١ .

الشيخ علي عبد الرازق

(١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م)

نأتى الى صاحب أول كتاب نشره اخواننا « المتنورون » وهو الشيخ على عبد الرازق – عليه رحمة الله – الذى نشر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » فى ابريل ١٩٢٥ .. وقال فى هذا الكتاب « إن الاسلام : رسالة لا حكم ودين لا دولة » . وجاءت هذه المقولة على هيئة عنوان داخل الكتاب .. أى أن الرجل كان صريحاً ، يريد أن يعلمن الاسلام ، ويقول أن الاسلام مثله كمثل المسيحية واليهودية ، وأن محمداً لا علاقة له بالسياسة ، وأنه لم يكن حاكما .. ويقول : «يابعد مابين السياسة والدين » . وهو التعبير الذى استخدمه السادات فيما بعد بقوله « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين » ! يقول الشيخ على عبد الرازق فى كتابه « الاسلام وأصول الحكم » تحت عنوان « رسالة لا حكم ودين لا دولة » .. (ان محمدا – ﷺ – ما كان الا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين ، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وأنه – ﷺ – لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، ما كان الا رسولا كاخوانه الخالين من الرسل ، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ، ولا داعياً الى ملك .. ان

ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبى - ﷺ - لم يكن له شأن فى الملك السياسى ، وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان .. ولاية الرسول على قومه ولاية روحية .. وولاية الحاكم ولاية مادية .. تلك ولاية هداية الى الله وإرشاد اليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهـذه للناس ، تلك زعامة دينية ،وهذه زعامة سياسية ، ويا بعد مابين السياسة والدين [1] » .

وفى اغسطس من نفس العام-١٩٢٥ م-اجتمعت « هيئة كبار العلماء » وحاسبوه - فى محاكمة تأديبية - وسحبوا منه شهادة « العالمية » ، باعتبار أن ما قاله يتنافى مع هذه الشهادة .. والغريب فى الأمر أنه فى الشهر الذى يليه، وهو شهر سبتمبر ، صرح تصريحاً ضد ما قاله فى كتابه ! .. وقال : « ان الاسلام دين تشريعى، وانه يجب على المسلمين إقامة شرائعه وحدوده، وان الله خاطبهم جميعاً بذلك، ولكن الله لم يقيدهم بشكل مخصوص ، من أشكال الحكومات ، بل ترك لهم الاختيار فى ذلك، وفق مقتضيات الزمن، وحيث تكون المصلحة[2] » ، أى أنه بعد أقل من شهر من محاكمته قال: أن الاسلام

---

(١) « الاسلام وأصول الحكم » صـ٤٨-٨٠ طبعة القاهرة عام ١٩٢٥ م .

(٢) صحيفة « السياسة » عدد أول سبتمبر عام ١٩٢٥ م .

« دين تشريعي » والأمة – وليس الحاكم فقط – جميعها مخاطبة بإقامة الشرائع الاسلامية ، باعتبار تطبيق الشريعة احد الواجبات الدينية ، وهو ما ينقض دعوى كتابه : أن الاسلام ورسوله قد وقفا عند «التبليغ » دون « التنفيذ والتطبيق » !

وفي حوار له مع أحمد أمين ، في جلسة خاصة سنة ١٩٥١م حول علاج جمود المسلمين .. قال الشيخ علي عبد الرازق : « ان دواء ذلك أن نرجع الى ما نشرته قديماً من أن رسالة الاسلام روحانية فقط ، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل .. الخ » .

فلما نشر أحمد أمين هذه العبارة في مجلة « رسالة الاسلام» عدد أبريل ١٩٥١ – جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ – بمقال عنوانه « الاجتهاد في نظر الاسلام » ، عقب علي عبد الرازق بالعدد التالي من المجلة – مايو ١٩٥١ – فاعترف بالعبارة المنسوبة اليه .. لكنه نسب الى الشيطان القاءها على لسانه ؟! .. وتبرأ منها .. وقال : « أرجو ألا يظن صديقي أحمد أمين بك .. أو من يقرأ كلمتي هذه ، أنني أماري من قريب أو من بعيد في صحة الحديث الذي رواه عني ، فإني لأذكر هذا الحديث نفسه وأذكر أين ومتى كان ، وما ينبغي لشيء يرويه أحمد بك أمين أن يكون موضعاً للمراء ، وما أرى في الأمر إلا أن هناك خطأ في

التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين ، وما أدرى كيف تسربت كلمة روحانية الإسلام إلى لسانى يومئذ ؟! ولم أرد معناها !! ولم يخطر لى ببال !! .. بل لعله الشيطان ألقى فى حديثى بتلك الكلمة .. وللشيطان أحياناً كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس .. وهذه كلمة تصحح وضعاً شخصياً أرى من الانصاف أن يصحح : »!

نقول لمن نشر كتاب على عبد الرازق اليوم : لماذا لم تقولوا ما حدث : متى كان على عبد الرازق تنويرياً ؟ ومتى تراجع ؟؟ وإذا كان على عبد الرازق قد صحح رأيه فإن العلمانيين لم يصححوا .. بل نشروا «كتابى الإسلام وأصول الحكم» الذى رفض صاحبه أن يعيد طبعه مرة أخرى : وعندما أعيد طبعه فى السبعينيات قامت أسرة الشيخ على عبد الرازق برفع قضية على الناشر ، وقالت إن نشر الكتاب يسىء إلى على عبد الرازق لأنه كان عزوفاً عن إعادة نشره ! ..

والأكثر من هذا ، أننى حينما نشرت كتابى « معركة الاسلام وأصول الحكم » وقلت فيه أننى قابلت ابن على عبد الرازق – محمد – الذى قال لى أن والده كان يريد أن يكتب مقدمة فى أواخر حياته يوضح فيها ملابسات هذا الكتاب .. فجاءت ابنته الدكتورة سعاد

فنشرت مقالا « بالوفد » وقالت أن والدها لم يتراجع عن رأيه !! وعندما قرأت مقالها كلفت أحد الصحفيين بجريدة الوفد - وهو الصحفى الشاب عماد الغزالى - قبل أن يترك الجريدة - فى أن يحقق هذه القضية ، وأن يسأل شهود العصر حول علاقة الشيخ على عبد الرازق بهذا الكتاب ، بحثاً عن تفسير لرفضه اعادة طبعه .. فاكتشفنا أشياء شديدة الغرابة .. فقد قام الصحفى بمقابلة الشيخ الغزالى ، الذى قال أنه قابل على عبد الرازق فى الجامع الأزهر ، وقال له أنه لا علاقة له بهذا الكتاب ؟! .. وقال الشيخ أحمد مسلم - عضو لجنة الفتوى بالأزهر وعضو مجمع البحوث الاسلامية - أنه سأل على عبد الرازق - وكان يصلى خلفه - كيف قلت ما قلت فى هذا الكتاب ؟ .. فأجابه: ان هذا كتاب الدكتور طه حسين .. ولا علاقة لى به !! كما نشر الدكتور محمد الدسوقى - السكرتير المجمعى لطه حسين - اعتراف طه حسين له : أنه قد راجع كتاب الاسلام وأصول الحكم ثلاث مرات .. وأجرى فيه تعديلات كثيرة ؟! . » وكل هذا الكلام نشر فى حلقات بجريدة الوفد » ..

وهنا فهمت لماذا قال الشيخ على عبد الرازق أن ما جاء بالكتاب ليس رأيه .. وإنما كلمة ألقاها الشيطان على لسانه ؟! ..

المهم فى هذا الموضوع هو ما انتهى اليه الشيخ على فيما يتعلق بأن الاسلام رسالة روحية فقط .. فالرجل عدل عنه .. أما الذين ينشرون الآن كتابه ضمن سلسلة كتب المواجهة فإنهم يكذبون عندما يحذفون هذا التصحيح ، وهذا الموقف الذى انتهى اليه هذا الرجل !.

د. طه حسين

(١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م)

أما د. طه حسين فهو ، فى مشروعه الفكرى ، وكتبه ، « فى الشعر الجاهلى » ، .. وكتابه الذى نشرته الهيئة والذى يحمل عنوان : « مستقبل الثقافة فى مصر » – وهو أخطر ما كتبه طه حسين من كتب التغريب – .. طه حسين هذا يعد امام المتغربين والمقلدين للغرب .. إنه يقول : « إن السبيل واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهى واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يُحب منها وما يُكره ، ما يحمد منها وما يُعاب ! » (١)

وأيضاً قال عن علمانية الدولة : « ان وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول » و « ان السياسة شئ والدين شئ آخر » (٢) .

---

(١) « مستقبل الثقافة فى مصر » ج ١ ص ٤٥ . طبعة القاهرة عام ١٩٣٨ م .
(٢) المرجع السابق ج١ ص ١٦ ، ١٧ .

الاخطر من كل هذا أنه يقول : أن العقل الشرقي يوناني !! وأن الاسلام لم يغيّر شيئا من يونانية العقل الشرقي فيقول في كتابه : « ان العقل الشرقي هو - كالعقل الأوربي - مرده الى عناصر ثلاثة :

* حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن

* وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه

* والمسيحية وما فيها من دعوة الى الخير وحث على الاحسان وكما لم يغير الأنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي ، فكذلك القرآن لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي ، لأن القرآن إنما جاء متمماً ومصدقاً لما في الأنجيل !! وهكذا كانت مصر دائما جزءا من أوربا ، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، على اختلاف فروعها وألوانها (١) » .

أما ما كتبه « في الشعر الجاهلي » - وأنا أقول أن القضية ليست قضية أن الشعر الجاهلي منتحل - ولكنه في ص ١٦ وبالتحديد في ٢٨- سطرا هم أخطر ما كتبه بهذا الكتاب - وبعد أن قال أن القرآن نص لاشك فيه .. عاد وشكك في علاقة الاسلام بالملة الحنيفية الابراهيمية ، بل وشكك في قصة بناء الكعبة ورفع قواعدها بواسطـــة

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦

ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .. وأخبار الرحلة الحجازية لابراهيم عليه السلام[1] . ولكنه حينما أعاد طبع الكتاب وغير عنوانه من « فى الشعر الجاهلى » الى « فى الأدب الجاهلى » حذف هذه السطور التى شكك بها فى القرآن .

ولكن ماذا صنع طه حسين بكتاب « مستقبل الثقافة » الذى ينشره الآن تلامذه التنوير » فى أربعة أجزاء ، ككتاب من كتب التنوير؟ لقد أعاد الرجل طبع جميع كتبه الا هذا الكتاب !! هذا موقف .. لكن لماذا لا يعلن ؟ لماذا لا يريدون اعلان موقفه هذا ؟! .. ليس هذا فقط .. فلقد أجرى معه حديث بجريدة « الأهرام » فى ١ مارس ١٩٧١ م .. وحينما سئل عن رأيه فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » قال : « ده كتب سنة ١٩٣٦ .. قدم قوى ، عاوز يتجدد .. ويجب أعود اليه ، وأصلح فيه بعض حاجات وأضيف » وهذا الكلام المنشور لا يرى اخواننا أنه فى صالحهم .. لذلك لا يبرزونه بل يعيدون طبع الكتاب بلا حياء ! .. تماما مثلما حذفوا كلام على عبد الرازق الذى تراجع فيه..ونحن نقول هذا الكلام لا نصافى هؤلاء العلماء والمفكرين.. لأن طه حسين الذى قال أن السياسة ليست مقوما من

---

(١) الشعر الجاهلى ص ١٦ ، ٨٠ ، ٨١ طبعة القاهرة ١٩٢٦ م .

مقومات الدولة ، والذى قال لا علاقة للدين بالسياسة .. وأن اللغة ليست مقوما من مقومات وحدة الدولة ، بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ — قال : إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية «فغير موقفه» وحينما جاءوا به عضوا فى لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ ، دارت مناقشة حول حرية المرأة وحقوقها ، وكان موجودا باللجنة د. عبد الرحمن بدوى .. فقال طه حسين : « انه من المقطوع به أن الأغلبية لن تقبل أن تخرج ، عند وضع الدستور ، على ما أمر به الاسلام .. ولكن لابد لنا من أن نحتاط ، فنقول أنه ليس هناك أى مقتض يسمح لنا بأن نعدل عن نص القرآن .. أريد أن أقول :

أنه اذا وجد نص دينى صريح فالحكمه والواجب يقتضيان الا نعارض النص ، وأن نكون من الحكمه ومن الاحتياط بحيث لانضر الناس في شعورهم ، ولافى ضمائرهم ولافى دينهم .. »

وقال أيضاً : « إذا احترمت الدوله الأسلام فلابد ان تحترمه جمله وتفصيلاً ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتب وكفراً ببعضه الآخر (١).

---

(١) « لجنة مشروع الدستور » ص ٨١ ، ١٢١ طبعة القاهرة –وزارة الارشاد القومى – بدون تاريخ والجلسة التى قال فيها هذا الكلام تاريخ انعقادها ٤ / ٦ / ١٩٥٣ م .

ونحن الآن نرى أن إخواننا المتغربين ، حينما ينشرون لطه حسين يختارون ما يمثل التنوير بهذا المعنى الغربى : فنقول لهم : أنتم تظلمون طه حسين ، لأنكم لا تتبعون خط تطوره الفكرى ، الذى إنتهى به إلى أن يقول : « لابد أن نلتزم بالقرآن جملة وتفصيلاً » ؟!.

وهو تطور مناقض للتنوير الغربى العلمانى .

سعد زغلول

(١٢٤٦ - ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م)

والعلمانيون يدعون أن ثورة ١٩١٩ علمانية ، وأن شعارها - وهو: « الدين لله والوطن للجميع » - علمانى كيف يكون هذا وهى قد خرجت من عباءة الدين .. لقد خرجت من الجامع والكنيسة .. فكيف تكون علمانية اذا كانت قد خرجت من دور العبادة؟ حتى ان كلمة الدين لله هى آية قرآنية « ويكون الدين لله »[١] « والوطن للجميع » ، ليست فقط شعاراً اسلاميا ، بل يقول الله تعالى :﴿والارض وضعها للانام ﴾[٢] .ثم من الذى يقول أن الاسلام ، الذى بدأ دولته فى المدينة قبل اربعة عشر قرنا ، بتعددية دينية للرعية ، يرفض ان يجعل الارض للجميع ؟ .. اذن « الدين لله والوطن للجميع » شعاراسلامى وليس شعاراً علمانيا .. وأذكر اننى كنت احاور احد العلمانيين فقال لى « ولكن صفية زغلول خلعت ما على وجهها من حجاب ؟ » وانا اقول: هل السيدة صفية زغلول اصبحت متبرجة ؟! .. لقد أظهرت وجهها وكفيها . وهذا هو الحجاب الشرعى .

---

(٢١) البقرة : ١٩٣

(٢٢) الرحمن : ١٠

المهم فى الموضوع أن سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ حينما سُئل عن الثورة ، وقيل له : أنت زعيم هذه النهضة ، قال : هذا شرف لا أدعيه .. وانما نهضتكم بدأت منذ جمال الدين الأفغانى » .. والأكثر من هذا أن الأمام محمد عبده فى مراسلاته لسعد زغلول نجده لا يخاطبه الا بعبارة : « الشيخ سعد » .. فكيف يدعون أن الرجل كان علمانيا ؟

يضاف الى ذلك نقده الدقيق والحاسم لعلى عبد الرازق وكتابه « الاسلام وأصول الحكم » سنة ١٩٢٥ ، بل ان سكرتيره الجزيرى ، وكان من المحامين الشرعيين ، وكان يشرف على مجلة للقضاء الشرعى ، دخل عليه فسأله سعد زغلول عما كتب فى المجلة من ضرورة مناصرة على عبد الرازق بدعوى حرية الرأى .. وقال سعد زغلول : هناك فارق بين حرية الرأى وهدم الاسلام .. وكتاب على عبد الرازق يهدم الاسلام ..

والاسلام دين مدنى ودين حكم ، وعندما حُكمت به الأمم حقق لها السعادة ولا يزال يحقق السعادة للأمم التى تحكم به حتى الآن .

وهذا نص مقاله الذى نُقحم به من يريد وضعه فى صفوف العلمانية ، وبه ننصف هذا الرجل – : « لقد قرأت كتاب « الاسلام وأصول الحكم » بامعان ، لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ والصواب ، فعجبت : أولا :كيف يكتب عالم دينى بمثل هذا الأسلوب فى مثل هذا الموضوع ؟! لقد قرأت كثيراً للمستشرقين ولسواهم فما وجدت ممن طعن منهم فى الإسلام حدة كهذه الحدة فى التعبير ، على نحو ما كتب الشيخ عبد الرازق .. لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه ، بل بالبسيط من نظرياته ، والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس ديناً مدنياً ؟ ولا هو بنظام يصلح للحكم ؟! فأية ناحية من نواحى الحياة لم ينص عليها الاسلام ؟! هل البيع ؟! أو الاجارة ؟ أو الهبة ؟ أو أى نوع آخر من المعاملات ؟؟ ألم يدرس شيئا من هذا فى الأزهر ؟! أو لم يقرأ أن أمماً حُكمت بقواعد الاسلام فقط عهودا طويلة كانت أنضر العصور ؟! وأن أمما لا تزال تُحكم بهذه القواعد ، وهى آمنة مطمئنة ؟! فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟! أين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية ؟! ان قرار « هيئة كبار العلماء » بإخراج الشيخ على من زمرتهم قرار صحيح لا عيب فيه ، لأن لهم حقا صريحاً بمقتضى القانون ، أو بمقتضى المنطق والعقل ، أن يُخرجوا من يخرج

على أنظمتهم من حظيرتهم ، وذلك أمر لا علاقة له مطلقا بحرية الرأى .. لقد فعل العلماء ما هو واجب وحق ، وما لا يجوز أن توجه اليهم أدنى ملامة فيه .. والذى يؤلمنى حقا أن كثيرا من الشباب الذين لم تقر مداركهم فى العلم القومى ، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الاعجاب بكل جديد ، سيتحيزون لمثل هذه الأفكار ، خطأ كانت أو صوابا دون تمحيث ولا درس ، وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأى ، وبين قواعد الاسلام الراسخة الذى تصدى كتابه لهدمها .. »[1]

هذا هـو سعد زغلول ، الذى يفترون عليه ، عندمـا يضعونه فى « سلة » التنوير الغربى العلمانى .

(١) محمد ابراهيم الجزيرى (سعد زغلول : ذكريات تاريخية) ص ٩٢ ، ٩٣ طبعة القاهرة كتاب اليوم » .

د. محمد حسين هيكل باشا

(١٣٠٥-١٣٧٥هـ-١٨٨٨-١٩٥٦م)

لقد شغل هيكل باشا منصب رئيس تحرير جريدة « السياسة » فى عام ١٩٢٥ ، وكان أول مـن دافع عن على عبـد الرازق وكتابـه « الإسلام وأصول الحكم » .. وكان قبل ذلك - حينما كان محررا «بالجريدة » مع لطفى السيد باشا - من أوائل من بشروا بالقومية على النمط الغربى ، وكان هو ولطفى السيد يقفان ضد رابطة « الجامعة الإسلامية » على اعتبار أنها استعمار ؟! .. وفى مرحلة من مراحل حياته بشر بالفرعونية ثم جاء الرجل وبدأ مشروعه الإسلامى ، حيث نشر سنة ١٩٣٠ كتابه « حياة محمد » ثم « الفاروق عمر »وفى ١٩٣٥ نشر كتابه « فى منزل الوحى » وفيه نقد مسيرته الفكرية نقدا شجاعا وبذلك أصبح نموذجا للإنسان حينما يتطور فكره فيأخذ هذا الموقف الشجاع فى نقد ماضيه ، وذلك رغم النقد اللاذع الذى وُجه إليه من أصدقائه وخاصة من طه حسين ، الذى كتب مقالات بالفرنسية وقد ترجمت هذه المقالات وجمعت فى كتاب نشر ببيروت بعنوان «من الشاطىء الآخر» .. يقول طه حسين فى مقالاته الفرنسية أن كتابه «على هامش السيرة» أساطير وليست تاريخا ؟! وأن هيكل قد تناول

موضوع التراث بصورة جدية ! أى أنه يعيب على هيكل جديته فى الإنتماء إلى التراث ![(1)] أما هيكل ، فقد قال عن ناقديه أننى لا أعجب ممن ينتقدوننى ، والذين يقولون أننى كنت من المجددين ثم أصبحت من المقلدين الرجعيين .. فلا تثريب عليهم ، لأننى كنت أقول ما يقولون !. وما اكتشفته أنا كان يخفى علىّ فى فترة من الفترات .

وفى نقد هيكل باشا لفكرة الإنتماء القومى – بالمعنى الغربى – ودفاعه عن فكرة «التوحيد الإسلامية» و «الجامعة الإسلامية» يقول : «أن الفكرة الإسلامية المبنية على التوحيد ، تخالف ما يدعو إليه عالمنا الحاضر من تقديس القوميات ، وتصوير الأمم وحدات متنافسة، يحكم السيف وتحكم أسباب الدمار بينها فيما تتنافس عليه ، ولقد تأثرنا معشر أمم الشرق بهذه الفكرة القومية ، واندفعنا ننفخ فيها روح القوة ، نحسب أنا نستطيع أن نقف بها فى وجه الغرب الذى طغى علينا وأذلنا ، وخيل إلينا من سذاجتنا أنا قادرون بها وحدها على أن نعيد مجد آبائنا ، وأن نسترد ما غصب الغرب من حريتنا ، وما أهدر بذلك من كرامتنا

---

(1) طه حسين [من الشاطىء الآخر : طه حسين فى جديده الذى لم ينشر سابقا] صـ٦٥، ٦٦ ترجمة – عبد الرشيد الصادق محمودى – طبعة بيروت ١٩٩٠ م.

الإنسانية ، ولقد أنسانا بريق حضارة الغرب ما تنطوى هذه الفكرة القومية عليه من جرائيم فتاكة بالحضارة التى تقوم على أساسها وحدها ، وزادنا ما خيم علينا من سجف الجهل إمعانا فى هذا النسيان ، على أن التوحيد الذى أضاء بنوره أرواح آبائنا ، قد أورثنا من فضل الله سلامة فى الفطرة هدتنا إلى تصور الخطر فيما يدعو الغرب إليه .. ولذلك لم يكن لنا مفر من العودة إلى تاريخنا نلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية لنخرج من جمودنا المذل ، ولنتقى الخطر الذى دفعت الفكرة القومية الغرب إليه ، فأدامت فيه الخصومة بسبب الحياة المادية التى جعلها الغرب إلهه»(١)

وفى نقد الدكتور هيكل للعلمانية - التى كان يدافع عنها حينما دافع عن على عبد الرازق - يقول فى كتابه «حياة محمد» : «هنا - فى المدينة بعد الهجرة - يبدأ طور جديد من أطوار حياة محمد ، لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسى .. وهذا الطور من حياة الرسول لم يسبقه إليه نبى ولا رسول فقد كان عيسى وكان موسى وكان من سبقهما من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية يبلغونها للناس عن طريق الجدل وعن طريق المعجزة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان أن ينشروا

(١) [فى منزل الوحى] صـ ٢٢ - ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧

هذه الدعوة ، فأما محمد ، فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، وأن يكون الرسول والسياسى والمجاهد والفاتح .. لقد أقام محمد دين الحق ، ووضع أساس حضارة هى وحدها الكفيلة بسعادة العالم والدين والحضارة اللذان بلغهما محمد للناس بوحى من ربه يتزاوجان ، حتى لا إنفصال بينهما .. وقد خلا تاريخ الإسلام من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية : أى بين الكنيسة والدولة فأنجاه ذلك مما ترك هذا النزاع فى تفكير الغرب وفى اتجاه تاريخه»(١) .

ثم ينتقد التغريب بشكل عام فيقول «لقد خيل إلى زمنا ، كما لا يزال يخيل إلى أصحابى ، أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية هى سبيلنا إلى النهوض والتقدم .. فحاولت أن أنقل لأبناء لغتى ثقافة الغرب المعنوية والروحية ، لنتخذها جميعا هدى ونبراسا .. ولكننى أدركت بعد لأى ، أننى أضع البذر فى غير منبته ، فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة .. وما أزال أشارك أصحابى فى أننا مانزال فى حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب العقلية كل ما نستطيع نقله ، ولكننى أصبحت أخالفهم فى أمر الحياة الروحية ، وأرى أن ما فى الغرب منها غير صالح لأن ننقله ، فتاريخنا الروحى غير تاريخ الغرب ،

---

(١) [حياة محمد] ص ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٥١٦ ، ٥١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٨١

وثقافتنا الروحية غير ثقافته ، خضع الغرب للتفكير الكنسى على ما أقرته البابوية المسيحية منذ عهدها الأول ، وبقى الشرق بريئا من الخضوع لهذا التفكير ، بل حوربت المذاهب الإسلامية التى أرادت أن تقيم فى العالم الإسلامى نظاما كنسيا أهول الحرب ، فلم تقم لها فيه قائمة أبدا كيف نستطيع أن ننقل ثقافة الغرب الروحية للنهوض بهذا الشرق ، وبيننا وبين الغرب فى التاريخ وفى الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم ، والحياة المعنوية هى قوام الوجود الإنسانى للأفراد والشعوب .. لا مفر إذا من أن نلتمس فى تاريخنا وفى ثقافتنا وفى أعماق قلوبنا وفى أطوار ماضينا هذه الحياة الروحية نحيى بها ما فتر فى أذهاننا وخمد من قرائحنا وجمد من قلوبنا .. هذا كلام واضح بينٌ ومن عجب أن يخفى على أصحابى الذين غمزونى بعد تأليف كتابى «حياة محمد» عندما حسبوا أننى إنقلبت بكتابة السيرة رجعيا، وكنت عندهم قبلها فى طليعة المجددين !! من عجب أن يخفى هذا على أصحابى ، فلا يرونه وأن يكون خفاؤه سبب تثريبهم على ! ولكن لا عجب ، فقد خفى هذا الكلام على سنوات ، كما لا يزال خفيا عن كثيرين منهم !»(١).

---

(١) (فى منزل الوحى) صـ٢٢- ٢٦ وهو يشير إلى طه حسين- الذى قال فى (من الشاطىء الآخر) إن منهج هيكل فى كتابة السيرة كان « مؤداه خروج السلفية التقليدية ظافرة على الدوام » وقال : «لقد طبق حسين هيكل فى كتابه منهج جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى التوفيق بين العقيدة الإسلامية وبين العلم والحضارة المعاصرة » أنظر (من الشاطىء الآخر) صـ٦٥ ، ٦٦ .

وفى نقده الفرعونية قال فى نفس الكتاب «ولقد انقلبت التمس فى تاريخنا البعيد ، فى عهد الفراعين ، موئلا لوحى هذا العصر ، ينشأ فيه نشأة جديدة ، فإذا الزمن وإذا الركود العقلى قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرا لنهضة جديدة » .. ورُوّات – [نظرات دون عجلة] – فرأيت أن تاريخنا الإسلامى هو وحده البذر الذى ينبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس ، وتجعلها تهتز وتربو ، ولأبناء هذا الجيل فى الشرق نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتى ثمارها بعد حين .. لم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى أحياء حضارتنا الشرقية»(١).

بهذه النماذج التى تذكر عادة من قبل المتغربين فى إطار «التنوير» بالمعنى الغربى الذى يبشرون به .. احتكمنا إلى هذه النصوص التى تبين أن هناك فرية تفترى علينا ، وأن هناك تزييفا لتاريخنا ، والمدهش أنه ينطلى على بعض الإسلاميين .. ففى نفس العدد من

---

(١) (فى منزل الوحى) صـ ٢٢ – ٢٦ .

جريدة «الحياة» – الذى أشرت إليه سابقا – نجد الشيخ يوسف البدرى يفترى على رفاعة الطهطاوى .. ونحن نعلم أن المرحوم د . محمد محمد حسين فى كتابه «الاتجاهات الوطنية فى الأدب» نجد أن طبعته الأولى برئت من الهجوم على هؤلاء الرموز والأعلام المجددين ، بينما الطبعة الثانية – للأسف الشديد – كتب فيها كلاما سيئا حين جعل كل هذه الرموز متغربة، وعملاء ! وذلك لأنه وقع فى حبائل كتاب لمستشرق يهودى إسمه «إيلى كادورى» قال فيه : أن الأفغانى ومحمد عبده والطهطاوى ملحدون فتبنى محمد حسين هذا الكلام؟!.. وكتابه يعد من الكتب التى لعبت أسوأ الأدوار لدى شريحة من الحركة الإسلامية ، ولذلك نجد يوسف البدرى يقول عن رفاعة الطهطاوى – بجريدة الحياة «... رفاعة الطهطاوى الذى ذهب إلى باريس إماما لبعثة علمية ، وعاد إماما للتنويرالذى يعنى العلمانية ، واقصاء الدين عن الحياة» فيتفق هذا النفر من الإسلاميين مع العلمانيين فى تشويه الطهطاوى الذى رأينا نقده «للوضعية العربية» ودفاعه عن «الشرع» كمعيار للتحسين والتقبيح ، وانحيازه إلى «بحر الشريعة الغراء» ضد القانون الوضعى الغربى!..

سلامة موسى (١٣٠٥ - ١٣٧٧ هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨م).

فى نهاية هذا الإستعراض ، لا نريدأن نحرم أخواننا العلمانيين من

بعض رموزهم .. خاصة وهم يضعون سلامة موسى فى قائمة «أعلام التنوير»! ونحن نقول لهم نعم أنتم محقون «فإليكم بسلامة موسى» .. فهو الوحيد الذين تعُدُّون امتدادا له .. حيث تنبعون من نفس المنبع الفكرى ! .. ومشروع سلامة موسى يمكن أن نطلق عليه : مشروع «العمالة الحضارية» وأنا لا أتهمه بأنه كان عميلا سياسيا . وإنما كان عميلا «حضاريا» ، يريد أن يلغى حضارتنا ، كى نصبح أوربيين !..

وهو لم يبدأ من فراغ .. بل سبقه « المعلم يعقوب » [١٧٤٥ - ١٨٠١م] الذى كون الفيلق القبطى ، والذى تعاون مع نابليون ، والذى أطلق عليه الجبرتى إسم «يعقوب اللعين» !.. وكان من شروط جلاء الحملة الفرنسية عن مصر أن يجلوا «يعقوب اللعين» مع فيلقه القبطى مع جنود الحملة؟!.. وحينما كان على السفينة كان مرض بالحمى ، ثم مات ، فقام الجنود الفرنسيون بوضعه فى برميل خمر وقذفوه فى البحر .. وبعدها وجدنا وصيته التى أعطاها لربان السفينة ليعطيها للساسة الإنجليز مطالبا أن يقوم الإنجليز بإرسال قوة تحتل مصر ، كى تصبح مصر تابعة للغرب ، وتنقطع صلتها نهائيا بتاريخها الإسلامى ومحيطها العربى والإسلامى .. ثم جاء لويس عوض وكتب عن مشروع «يعقوب اللعين» فقال إنه « أول مشروع لإستقلال مصر» !! وكذلك

أطلق نفس هذه العبارة شفيق غربال .. وهكذا وضع «يعقوب اللعين» مع قادة وزعماء وأبطال مصر !!

والحقيقة أن أول من فكر فى مضمون مصطلح «إستقلال» مصر عن تاريخها وتراثها ومحيطها هو «المعلم يعقوب» ، ثم جاءت مدرسة الموارنة الذين هربوا من الشام وجاءوا إلى مصر فى ظل «كرومر» والحكم البريطانى ، وأصدروا «المقطم» و «المقتطف» وأصبحوا يمثلون أركان المندوب السامى والحماية البريطانية (يعقوب صروف - وشاهين مكاريوس - فارس نمر) . ولأنهم أقلية مارونية مسيحية كان من الصعب أن يقدموا المسيحية بديلا للإسلام فى مشروع النهضة ، ولذلك قدموا الغرب كبديل للحضارة الإسلامية والمشروع الإسلامى !.

والتقط منهم الخيط سلامة موسى ثم لويس عوض ثم غالى شكرى ، وتلاميذ العلمانية الموجودون الآن على الساحة !.

وكلمات سلامة موسى تمثل مشروعه الذى كان يرمى من ورائه إلى الحاق الوطن بالغرب من الناحية الحضارية ، ولقد اعتبر مصطفى كامل ووطنيته لونا من الإرتداد عن الوطنية فنجده يقول : « لقد حدث إرتداد فى الفكرة الوطنية بظهور مصطفى كامل (١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م) والخديوى عباس

والإخوان المسلمين ومصر الفتاة والللجنة العليا للحزب الوطنى والضباط الأحرار ، .. وقال أن التيار الوطنى التقدمى هو الذى «إختار الإستعمار الإنجليزى المتقدم على الدولة العثمانية المتخلفة » !!.

وبالمناسبة أنبه إلى أن إستخدام كلمة «آسيا» كما وردت فى لسان سلامة موسى - «آسيا» التى دعا إلى الخروج منها - هى أيضا يستخدمها المستشرقون ، وهى تعنى «الإسلام» وأذكر هنا «هانوتو» (١٨٥٣ - ١٩٤٤ م) الذى تكلم عن تونس وقال أنها بدأت تنحاز للتغريب وتطوع للفكر الفرنسى أى الحضارة المسيحية الآرية ويقول أيضا « يوجد الآن بلد وأرض تنقلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضى الآسيوى .. »[1] ؟!

وحينما يأتى اليوم الدكتور/ جابر عصفور - الذى يقود حملة التنوير - فيكتب فى جريدة «الحياة» ويقول : «لا ينبغى أن ننشغل بسؤال الهوية .. فلا أحد يشغل نفسه بسؤال الهوية القومية »[2] أى أن هؤلاء قد وصلوا إلى موقع زعيمهم ورائدهم سلامة موسى !.

---

(١) (الإسلام والرد على منتقديه) لمجموعة من العلماء صـ٢٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.

(٢) صحيفة (الحياة) اللندنية - عدد ٥ / ١٩٩٣/٥م.

أما عن موقفهم من اللغة العربية ، فيجب أن تقارن بينهم وبين عتاة الإستعماريين مثل «ويل كوكس» الإنجليزى الذى دعا إلى الكتابة بالعامية ، وغيره من الذين دعوا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .. وأتاتورك وما فعله فى الحرف العربى ، والإستعمار الروسى وما فعله بالحرف العربى فى آسيا الوسطى ، والفرنسيون وما صنعوه باللغة العربية فى الجزائر وتونس والمغرب .. كلنا نعلم هذه القصة التى تحاك ضد اللغة العربية باعتبارها أحد مقومات الشخصية العربية ، ولغة القرآن .. وعن هذه اللغة كتب عنها سلامة موسى يقول : « إن المتعمق فى اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد ، فنظره متجه أبدا نحو الشرق ، وثقافته كلها عربية شرقية مع أننا فى كثير من الأحيان نحتاج إلى الإتجاه نحو الغرب ، والثقافة تعزز الذوق والنزعة ، وليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق »[١] ؟!.

ثم يقول أن اللغة تحمل عقيدة – وهذا ما جعل « إن الشرفى » وزير التعليم التونسى الحالى يتراجع عن مشروع التعريب ويقول : «إن الحرف العربى يؤدى إلى الإتجاه الغيبى» – (الإتجاه إلى الإسلام) !! ونفس هذا الكلام ردده سلامة موسى قائلا عن تراثنا « إنه تراث لغوى

(١) [اليوم والغد] صـ ٤

، يحمل عقيدة إجتماعية يجب أن نحاربها ! فالعربية ليست لغة الديمقراطية و الأتومبيل والتليفون ، بل لغة القرآن وتقاليد العرب » !!

وبهذه المناسبة سوف أقرأ عليكم نصا لأول مقيم عام فرنسى بالمغرب سنة ١٩١٢ ويدعى « ليوطى » قال فيه: « أن اللغة العربية تجر إلى الإسلام ،لأن هذه اللغة تُتعلَّم فى القرآن ، هذا فى حين أن مصلحتنا تحتم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام ، ومن الناحية اللغوية يجب أن نعمل على الإنتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية »[١] ثم يأتى أيضا لويس عوض ويقول : « أن اللغة العربية لغة السادة ، وعلى العبيد - أصحاب العامة - أن يحطموا قيود السادة !! وأن اللغة العربية تشبه اللغة اللاتينية وكما قامت فى الغرب اللغات الإنجليزية والفرنسية على أنقاض اللاتينية كذلك يجب أن تسود العامية على أنقاض الفصحى؟! » ثم طالب بأن تكون اللغة العربية لغة الكهنة أى علماء الإسلام ، ونادى باللغة العامية ، كل هذا من أجل تقطيع أوصال العالم العربى والإسلامى وحتى لا نستطيع أن نقرأ القرآن .. مثلما فعل أتاتورك فى تركيا ؟!.

(١) د. محمد عابد الجابرى « تطور الوعى القومى فى المغرب» ص:٤٤ - طبعة بيروت سنة ١٩٨٦

هذا هو فكر من يسمون بزعماء التنوير ، وهذا هو الافتراء الذى أرادوا به إنتزاع الرموز الإسلامية من الموقع الاحيائى والتجديدى للفكر الإسلامى ، ولذلك عندما يقال أن مشروع التنوير بدأ ، لكنه إنحدر وتحول إلى محنة تنوير – كما كتب جابر عصفور – نقول لهم : أن المحنة محنتهم هم وليست محنة مشروع التنوير بالمعنى الذى نفهمه نحن لأن هذا المد الإسلامى واليقظة الإسلامية هى إمتداد لهذا المشروع الإسلامى الإحيائى والتجديدى ، أما الضمور الذى أصاب ويصيب مشروع « يعقوب اللعين » ولويس عوض وسلامة موسى وتلاميذهم .. فهذه محنة مشروعهم ..

ونحن حقيقة لسنا أمام مشروع تنويرى تراجع ، وإنما أمام مشروع تنويرى إسلامى يستنير بنور الله والإسلام والرسول – ﷺ – أما مشروعهم « لا سلطان على العقل إلا العقل » فهو الذى يعانى فى أوساطنا الآن هذه المحنة .. ونحن الآن أمام مشروعين .. أحدهما مرجعيته الإسلام ، والآخر مرجعيته الغرب .. والحقيقة أن هناك تحديا أمام المسلمين وعلمائهم ، وهو أنه إذا كان الإستعمار قد ترك الأقطار ورحل إلا أنه ترك المؤسسات فى أيدى هؤلاء المتغربين وعلينا أن توجد المؤسسات الإسلامية التى تمارس التنوير الإسلامى الذى هو نور الله حتى يتم وعده ويبلغ الكتاب أجله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعليقات الحضور

د . توفيق الشاوي : أستاذ القانون بحقوق القاهرة

التنوير فى أوربا كان يُقصد به كشف الظلام الذى كانت تحيا فيه (العصور المظلمة) فى ظل سلطة الكهنوت ، أما نحن فإننا لم نمر بهذه العصور ، بل كانت عصورنا الوسطى هى عصور الأمجاد الزاهرة ، ولذلك ليس هناك مبرر لما يدعيه العلمانيون عندنا من ضرورة تنويرنا .. وذلك لأنهم لا يقصدون إلا تحطيم الأصول الإسلامية .. ولذلك أرجو من د. عمارة والآخرون أن يبرزوا لنا – وبصورة متواصلة – الفرق بين نظرية التجديد الإسلامى ومقوماته وأصحابه ، وبين أدعياء التنوير ، لأنهم فى الحقيقة ليسوا تنويريين ، بل هم ظلاميون ، يريدون الحاق شعوبنا بالشعوب الأجنبية الإستعمارية .

ولا ننسى أن ننبه إلى بعض الإسلاميين ذوى العقول الجامدة ، الذين يدافعون عن التخلف ويصفونه بأنه إسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم ورحمة الله .

د . محفوظ عزام : أستاذ الفلسفة

نشكر د . عمارة على كلمته الجامعة المانعة التى وضحت لنا مفهوم التنوير .. ومعروف أن مفهوم التنوير ظهر فى القرن الثامن عشر فى أوربا على يد المدرسة الفرنسية وكان من أهم أعلامها فولتير ، ونبنج ، وبدرو .. وهؤلاء الثلاثة فلاسفة ماديون يقولون بأزلية المادة وأبديتها .. إذن منطلقهم هو إحلال المادة محل الله ، ثم يحل العقل محل الله ، ومن الخطأ أن نستخدم مصطلح « التنوير » فى مجتمعاتنا الإسلامية لأن فيه تلبيساً على الناس ، ومن هنا فعلى المفكرين أن يقدموا لنا بعض الرسائل الخاصة بمفاهيم التنوير والعلمانية ، خاصة وأن الناس يقفون بين العلم والعلمانية موقفا حائرا .. بل ويخلطون بينهما ويعتبرون أن العلمانية مأخوذة من العلم .. مع أن العلمانية هى العالمية وكانت فى الأصل تسمى « العالمانية » ثم تحولت إلى العلمانية وهى تعنى الفصل التام بين الحياة والدين ، سواء كانت هذه الحياة لأمة أو لشخص أو مجتمع .

أما فيما يتعلق بالشيخ على عبد الرازق يقال أنه نادى بتطبيق الشريعة فى مجلس النواب .. أى أن تكون الشريعة هى المصدر للقوانين .. وفيما يتعلق بمحمد حسين هيكل فقد كان معجبا بالحضارة الغربية إلا أنه رجع فى النهاية إلى الأصول الإسلامية .

د . أحمد فؤاد باشا : أستاذ الفيزياء بجامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم .. حقيقة أشفق على د . عمارة من الهجمة الشرسة التى يقوم بها أعداء الإسلام ضد الإسلام ، وأدعو جميع المفكرين بأن يدلى كل منهم بدلوه فى التصدى لهذه الهجمات .. لأننا بالفعل – وفى هذا العصر – نعيش فى محنة شديدة ، ويجب على كل فكر أن يجتهد وأن نتضامن جميعا فى توضيح الحقيقة .. والحقيقة دائما فى صف الإسلام .

أود التركيز على أن أعداء الإسلام فى نقدهم لشريعة الإسلام يلجأون دائما إلى التاريخ الإسلامى ، ويتبعون منهجا إنتقائيا إختياريا ، حيث ينتقون من النصوص ما يتفق مع أغراضهم .. وهذه العلمية تتنافى مع المنهج العلمى لأنهم يفصلون النصوص عن سياقها لخدمة أيديولوجية مسبقة يتبنونها .. وقد فعلوا هذا مرارا بدءا من آراء أبى حامد الغزالى وموقفه من العلم ، وكيف أنه رفض العلوم الطبيعية ، رغم أنه كان أمينا فى عرض القضية ، ووضح الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية وطالب بتعليم الطب والرياضيات ، وكل ما فى الأمر أنه قال أن التعمق فى بعض العلوم الطبيعية كالرياضيات قد يثير بعض الأسئلة – عند المتعلم – التى يكون غير قادر على إستيعابها .. وهذا قد يؤدى إلى

نوع من الإنحراف .. ورؤيته هذه كانت فى إطار عصره الذى عج بالآراء والتعريفات الفلسفية المختلفة .

أريد أن أنبه إلى أننا لا نتشبث بجمال الدين الأفغانى أو بمحمد عبده كأشخاص .. بل ندرسهم وندرس تاريخهم من واقع منهج علمى ، ونقول ما لهم وما عليهم ، وهدفنا فى النهاية هو الوصول إلى الحقيقة .. ونقطة أخيرة أشير إليها أننا نجد من بين الكتاب الإسلاميين من يروج للعلمانية ، بل ويضع لها تعريفات تخالف حقيقة التعريف المتبع أصلا عند الغرب والذى يتبناه دعاة التنوير فى عصرنا ، وأضرب مثالا بـ « وحيد الدين خان » حيث له مؤلفات كثيرة منها « الإسلام يتحدى » .. ولكن للأسف فى آخر كتاب له فى طبعته العربية « الإسلام الكامل » وجدته ينادى بضرورة إتباع العلمانية باعتبارها تعنى عدم تدخل الدين فى شئون الدولة ، ويضيف أنه نظرا لسلطة الكنيسة القوية اعتبرت أن هذا عداء للديانة المسيحية و لذلك إفتعلت الكنيسة هذا العداء (!!) .. وأنا العلمانية تعنى الفصل بين الدين والدولة فصلا يحول دون تدخل كل منهما فى الآخر ، ويزعم « وحيد الدين خان » أن العلمانية فرصة ذهبية لأن يؤدى المسلمون دعوتهم بحرية !! وضرب مثلا بصلح الحديبية الذى أتاح الفرصة لحرية الدعوة الإسلامية لعشر

سنوات، فالعلمانية التي لا تتدخل في شئون الأديان تتيح الفرصة للدعوة الإسلامية إلى الأبد !! هذه الآراء غريبة خاصة وأنها تستشهد بصحيفة المدينة .. يجب أن نفطن لما يبث في الفكر الإسلامي حتى فيمن يسمون أنفسهم بالإسلاميين وهذا يعطي بعدا لشراسة الهجمة ، وكيف ينساق في إطارهذه الهجمة بعض الإسلاميين لست أدرى عن قصد أو عن جهل .. وشكرا .

فضيلة الشيخ محمد الغزالي:

بسم الله الرحمن الرحيم .. أشعر بأن هذه الفترة من تاريخنا من أشد الفترات سوادا في التاريخ الإسلامي الطويل ، لأن الهجوم على الإسلام ممتد من جميع الجبهات من شرق وغرب ، وأذكر أنني كنت إقرأ بالأمس في مجلة تقول أن الحكومة الهندوسية في الهند إستطاعت أن تمجس ٧٤ ألف مسلم بالهند ، وأن تفرض عليهم الهندوسية ، وبدأت في مطاردة كلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله ، بل وحرقت الموتى المسلمين وبدأت تغير في تقاليد الزواج .. وأشياء أخرى كثيرة .. هذا يقع في الهند وفي أوربا وفي البوسنة .. وهو يعني أن شعبة من شعب الهجوم على العالم الإسلامي والتي كانت عسكرية .. إتجهت إلينا الآن وتحولت إلى ثقافية .. وأن ما يسمى بحركة التنوير ما هي إلا

شعبة هجوم صليبي صهيوني وثني كي يُضرب الإسلام في صميمه ، والإسلام الذي يُضرب ليس هو دين محمد بالمعنى المحدد بل هو الدين كله والوحي كله بل ورسالات السماء كلها ، فإن حدث وضاع الإسلام فلن يبقى على الأرض دين ، وستختفي الروحانية والغيبيات كلها من على سطح الأرض .

ولهذا أريد أن نشعر بخطورة الواجب الذي ربطه القدر في أعناقنا في هذه الأيام ، أما أن الناس فيهم من يخدم الضلال إلى أن يموت فهذه طبيعة نبهنا إليها الإسلام « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا .. قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .. أن أبا جهل ظل إلى آخر رمق يقول مناجيا الله « اللهم من كان أقطع منا للرحم فأده اليوم » فقد كان يظن أنه أولى بالنحر من محمد ، لقد كان معبأ بالكفر من رأسه إلى قدمه ومن قدمه إلى رأسه ، فإذا وجدنا أن هذه النماذج من الكافرين موجودة ، فلنسأل أنفسنا .. هل أمكننا أن نضع نماذج للإسلام تستطيع أن تقاوم هذا الزيف وتضرب هذا الضلال ؟ أن شعبنا لازال يقول بصوت عال « الإسلام هو الحل » لكننا نريد أن تشبع هذه الكلمة ، وأن يشيع من ورائها تأصيل علمي – كالذي قدمه لنا

الدكتور عمارة الآن – حتى يعلم الناس أن هؤلاء ليسوا طليعة تقدمية ، بل كتيبة رجعية حقيرة ، وأنهم يخدمون نزوات الإستعمار العالمى الكاره للإسلام الحاقد للشعوب الذى يريد أن يعود بالناس جميعا القهقرى إلى أيام ما فتحت أمريكا الجنوبية والشمالية ، وأن يبدأ العالم كله يعيش فى ظلمة الصليبية العالمية ، فهؤلاء يخدمون للأسف أغراضا من الخارج ، ولذلك تخدمهم قوى جلية وخفية تكره الإسلام وتضيق به ، وتريد القضاء على الإسلام وإتباعه .

كل ما أبغيه الآن هو أن التجديد الذى لابد منه للأمة الإسلامية ، حتى تكون أهلا للبقاء ، هو تجلية حقائقها هى ، وتلميع هذه الحقائق ، حتى لا تنكشف أمورها أمام العيون المتطلعة إلى النور ، ولكن لدينا الآن نوعان من الناس ، نوع ينتمى إلى الإسلام وهو خطر عليه ، خاصة وأنه لا يدرى من الإسلام شيئا ، وربما أحبت ما فعل فى التاريخ الإسلامى كان من صنع الجهلة به والجاحدين له .. وهذا النوع موجود الآن ومهمته محاربة الأفغانى والطهطاوى ومحمد عبده ، وسعد زغلول بل وحسن البنا وكل من فيه نضارة فى فكره الدينى وقدرة على توجيه الأمة لفعل الخير .. وتنبه إلى أن هؤلاء الأعداء خطرون على الناس .. أما النوع الثانى فهو الإستعمار الثقافى .. الذى زلزل التعليم

الدينى من ٤٠ سنة ، حين استطاع التأثير على حركة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ ، فجعلها تلغى – عن طريق طه حسين – التعليم الأولى والإلزامى وتعليم القرآن الكريم وجعل القرآن بعيدا عن مناهج الدراسة الأولية التى كنا نعيش بها .. وبذلك ماتت الكتاتيب وما يشبهها ، وأصبح الطالب يخرج من المدرسة الإبتدائية ولا شيء عنده من القرآن . ثم جد الآن أن ثقافتنا فى حضانة لجنة أمريكية ، إستطاعت أن تمحو من التاريخ ما تمحو ، ومن السنن والآيات كذلك ، ووجدنا أنفسنا أمام تزوير ثقافى خطير يخدم هذا التنوير أو يخدمه هذا التنوير الذى تعيشه أمتنا الإسلامية .. الأمر يحتاج إلى أن تدرك أن الواجب علينا ثقيل ، ويستدعى يقظة ، وأن الأمر جد ، وأن الإسلام فى خطر ، وأن دعوة التوحيد تتهددها ألغام موقوتة وغير موقوتة كى تنسفها من جذورها ، والله المستعان على أن تقوم بحفظ ديننا وتراثنا .. والله ولى التوفيق .

د . محمد عبد الواحد طرابية : قسم الصحافة بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم .. لقد وضح لنا الفرق الشاسع بين النور والظلام ، بين مستنقع التنوير وقافلة التنوير الإسلامية .. هذا المستنقع وجد المجال خصبا فى أجهزة وسائل الإعلام الأمريكية ، التى تبنت هذه الأفكار الرجعية الإستعمارية أفسحت المجال كى تدخل

وتزيف الثقافة الإسلامية ، والسؤال الوارد الآن .. أين دور الأزهر بقيادته وجامعته ومؤسساته فى محاربة هذه الظاهرة المستنكرة ؟ .. ومن وجهة نظرى أن السبيل للقضاء عليها ، بجانب دور الصحافة الإسلامية ، هو أن يقوم الأزهر بإصدار موسوعة للتنوير الإسلامى ، يكتب فيها مشايخنا الأفاضل ، وأن تنشر عالميا ، وحبذا لو كان عن طريق المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، لتوضيح مفهوم التنوير فى الإسلام والفرق بينه وبين الجهالة .

شعيب الغباشي : صحفي

بسم الله الرحمن الرحيم .. الفكر العلمانى له خط موصول منذ أن بدأت بشائره فى منطقتنا العربية عى يد أصحاب « المقطم » و « المقتطف » وانتهاء بجابر عصفور رئيس قسم اللغة بكلية الآداب بجامعة القاهرة .. وطالما أن الفكر العلمانى موصول الخطوات .. فهل هذا التواصل تم بفعل فاعل أم مصادفة ؟ أعتقد أن هناك برنامج ومخطط عالمى قديم منذ أجدادهم فى الجزيرة العربية .. وكل جيل يأتى يضيف ويعدل طبقا لتطورات عصره ، وهم مخلصون لخطتهم .. وأتساءل أين خطتنا وبرنامجنا ؟

من السلسلة التى تصدرها الهيئة العامة للكتاب كتب جديدة منها كتابات الإمام محمد عبده .. وأتساءل أين كتابات الشيخ الغزالى ؟ أين كتابات د . محمد عمارة ؟ بل وأين نحن من تحديد المصطلحات ؟ .. نريد أن نتفق على مدلولات ومفاهيم معينة لبعض المصطلحات حتى نرى أين نضع أقدامنا .

محمد مأمون : مهندس استشاري

أوجه تحية لأستاذنا الدكتور عمارة .. وأحيه كذلك على تعبيره الذى استخدمه « الإنحياز التاريخى » لأن هذه قضية هامة جدا ، وفى تصورى أن أول من إنحاز للقيم هو الإمام « أبو حامد الغزالى » فى رحلته من « المنقذ من الضلال » حيث أنه إنحاز فى النهاية إلى فكرة الإسلام الصحيحة الشاملة التى تشمل القلب والفعل والسلوك والفقه .. وعصرنا الحديث شهد مجموعة من الأعلام تمثل الصفوة التى تمتلك الضمير والرؤية واليقين .. وأصبح إنحيازها الإسلامى كفكرة شاملة وكحل نهائى لمشاكل الإنسانية كلها شاهدا للإسلام ، كما هو شاهد لهم ومنهم إستاذنا الدكتور محمد عمارة .. وأستاذنا المستشار طارق البشرى .

مهم جدا أن نركز على أن العلمانية هى النتيجة الباقية للإستعمار.. وأن فصائل العلمانية أعطيت مساحات فى الصحف ووسائل الإعلام ، وأصبح لها ضجيج .. وأتمنى على الله أن نتعامل مع العلمانية بهذا المفهوم ، وأطالب المعهد العالمى ببدء حملة لنشر مؤلفات د . عمارة والشيخ الغزالى فى مقابل الحملة التى تقوم بها الهيئة العامة للكتاب .

د. محمد عبده صيام:

بسم الله الرحمن الرحيم .. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزى عالمنا المجاهد د . محمد عمارة خير الجزاء .. وفى هذه المناسبة أنبه إلى أن هناك بعض الإسلاميين الذين يشوهون الحركة الإسلامية أو يهيلون التراب على بعض رؤوس علمائنا .. وأذكر هنا شيخنا الغزالى الذى يهال على رأسه التراب بعد ظهور كتابه « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » فصدر ما يقرب من ١٥ كتابا منهم كتاب ألفه استاذ مساعد بكلية أصول الدين وقدم لهذا الكتاب رئيس القسم وعنوان الكتاب « جناية الشيخ الغزالى على السنة النبوية » ، وأتمنى من الدكتور محمد عمارة أن يزيل التراب من على رأس هذا الشيخ الجليل مثلما فعل مع الطهطاوى والأفغانى وغيرهما .

د . علي جمعة :

هكذا إنتهت التعقيبات ونعطى الكلمة لأستاذنا الدكتور محمد عمارة .

د . محمد عمارة:

شكرا للسادة الأفاضل المعلقين .. وأبدأ بردى على سؤال ورد من أحد الحضور يتساءل لماذا لم أعط أمثلة من الإجتهاد فى عصرنا الحديث ؟ .. مثلما فعلت حينما أوردت أمثلة عن الإجتهاد فى عهد عمر بن الخطاب فى كتابى « معالم المنهج الإسلامى » ؟! .. والحقيقة أننى قد أجبت عن هذا السؤال فى الكتاب حيث قلت أننى أريد أن أقدم نماذج من الإجتهاد فى العصور الأولى ، وهى فترة إتسعت فيها دولة الإسلام – فى عهد عمر – ولم تعد الدولة قاصرة فقط على شبه الجزيرة العربية .. ولأن الإجتهاد فى هذه الفترة لم يكن موضوع جدل من تيارات الفكر الإسلامى .

أما عن موضوع د . نصر حامد أبو زيد – كما جاء فى بقية السؤال – أقول أن هذا الأستاذ وآخرين يحفرون تحت أساسيات الإسلام ولقد رددت فى كتابى « الإسلام والسياسة » على العلمانيين بشكل

عام ، خاصة فرج فودة ، وفؤاد زكريا .. ومع ذلك فأنا أتفق مع صاحب السؤال بأن هناك مشاريع تلبس لباسا علمانيا .. يقوم بها أساتذة يجب ألا نستهين بما كتبوه .. والحقيقة ، لا أكتمكم ، أننى قرأت كل ما كتب ضد نصر حامد أبو زيد فى الفترة الأخيرة ، ولم يعجبنى ؛ لأنه لم يصل إلى حقيقة المشروع الذى يقدمه ، وهو موضوع « تاريخية النصوص » و «التأويل غير المضبوط بقواعد العربية » : وقد أشرت – فى أحد الصحف – إلى أن المنهج الذى بدأه « أركون » ونصر أبو زيد وغيره تلامذة فى مدرسته .. وهؤلاء نضعهم فى صفوف القاديانية والبهائية والبابية بالإضافة إلى محمد محمود طه .. وذلك لأنهم يبشرون بشرائع جديدة .. لأنه إذا كان الإسلام تاريخيا .. ونصوصه مرتبطة بأسباب النزول ، وإذا كانت الآية القرآنية التى تقول للنبى أن يحكم بين الناس بما أراه الله .. خاصة بالرسول .. وأن أغلب آيات القرآن موجهة للرسول أو لأسباب نزول معينة مرتبطة بحوادث تاريخية .. نقول لهؤلاء أنكم تريدون نسخ الإسلام .. وعلينا بالفعل أن نقدم مشاريع فكرية لأن هذه مسئوليتنا جميعا .. وأدعو الله تعالى أن يوفقنا و الحقيقة أننى كنت صاحب إقتراح أطلقت عليه « المرصد الفكرى » كى نرصد تيارات الفكر المواتية والمعادية .

أحد الأخوة وصلنى سؤال منه حول وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لقضية البوسنة والهرسك .. أقول أن هذه القضية تحدثنا عنها فى ندوات كثيرة وهى ليست موضوع ندوتنا الحالية .

لدى سؤال مهم حول ضرورة تحرير المصطلحات .. والحقيقة أننى فى بداية الندوة أشرت إلى هذا ، ويبدو أن صاحب السؤال لم يحضر من بداية الندوة : و قلت أن القضية هى قضية تحرير مضمون المصطلحات . وحقيقة أنا مهتم جداً بهذه القضية سواء فيما كتبته عن العلمانية ، أو فى مقدمة لقاموس المصطلحات الإقتصادية - وقد طبع مؤخرا - كتبت فى المقدمة عن الرسالة الحضارية للمصطلحات ، وكيف أن المصطلحات أوعية تستخدم فى حضارات مختلفة ولكن بمضامين مختلفة .. وهذا نراه فى موضوعات كثيرة « كالدين » « والسياسة » « واليسار » « والتوحيد » « و الإقطاع » .. فكل هذه مصطلحات تستخدم لكن لها مضامين مختلفة فى الحضارات المختلفة .

بالنسبة للدكتور أحمد فؤاد باشا الذى تكلم عن التاريخ ، وكيف أن هناك منهج خاطيء عند المتغربين فى نظرتهم إلى التاريخ .. ولقد تناولنا هذا فى مناظرتنا مع العلمانيين ، وكيف أنهم يستقون تاريخنا من كتاب « ألف ليلة وليلة » .. كما أنهم يستغلون فكرة

إنحراف « الدولة » ...ونحن نقول لهم أن « الأمة » هى التى صنعت الحضارة .. وأن « الأمة » ليست هى « الدولة » وفى آخر ندوة شاركت فيها كانت حول « دور الأوقاف فى صناعة الحضارة الإسلامية » ركزت فيها على هذه القضية .. قضية كيف صنعت « الأمة » أعظم الحضارات فى ظل إنحراف « الدولة » وذلك لأن الدولة كان حجمها محددا ، ونطاق نفوذها محدودا .. وبالتالى لم تكن هى الدولة التى نحيا فى ظلها الآن .. والتى تقتحم على الناس مضاجعهم ، وتمسك كل الأشياء بيديها.. أقول أنه من الخطأ أن ينظروا إلى تاريخنا بمنظار غربى .. أى أنهم ينظرون للخلافة على أنها كهانة .. وللإسلام على أنه كهنوت .

وحول موضوع الموقف من الإمام أبى حامد الغزالى .. أقول أن الغزالى فُهم بصورة خاطئة فى موضوع السببية .. وقد كتبت هذا فى كتابى « معالم المنهج الإسلامى » ، وأنه لم يكن هناك خلاف حقيقى بينه وبين إبن رشد فى قضية علاقة الأسباب بالمسببات ، وهذه المسألة تخفى على الكثيرين ممن يرون فى الغزالى أنه هزم الفلسفة والعقل والعقلانية .. وحول موقفه من بعض العلوم من أنها تحتاج إلى متخصصين فهذا أيضا هو موقف كل عالم يشعر بالمسئولية .. وإلى الآن

تقول أن الناس لو قرأت « إبن عربى » تضل وتكفر .. ولكن بعض الذين يفهمون مصطلحاته من الممكن أن يأخذوا منه ويختلفوا أو يتفقوا معه .. ولا تنسى أننا حتى فى ظل عصر العلم الذى نحيا فيه ، نجد أن كتب السحر تحرم قراءتها فى بعض المكتبات إلا لمن يقوم بإعداد دراسة علمية .. وهكذا ليس عيبا أن يطالب بعض العلماء بأن تقتصر بعض العلوم على المتخصصين فيها فقط .

وأما عن « وحيد الدين خان » فأنا أرى أن بعض الناس يخلطون فى موضوع العلمانية .. فالعلمانية قد تكون مفهومة ومبررة فى المجتمعات المسيحية ، لأنهم يقولون « دع ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله » ولكنها لا يمكن أن تكون مبررة فى المجتمع الإسلامى حيث الإسلام فيه دين ودولة .. وهذا لا يمنع أن بعض إخواننا من الإسلاميين يقولون أن العلمانية فى الغرب تفتح الباب أمام الدعوة الإسلامية ، ولكن هذا لم يكن ليحدث لو كانت الكنيسة هى الحاكمة .. نقول لهؤلاء أن هذه القضية مختلفة تماما مع قضية أن العلمانية كحل غربى لمشكلة غربية ، ويراد إستيرادها لبيئة إسلامية لا علاقة لها بهذه المشكلة ولا بهذا الحل الغربى .. وإذا كان « وحيد الدين خان » قد إستشهد بالصحيفة – التى هى دستور دولة المدينة – على العلمانية

.. فهذا الكلام نعتبره غريبا .. لأن الآية القرآنية تقول ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ أى أنها تجعل المرجعية الكتاب والسنة شرطا للإيمان بالله وباليوم الآخر» .. هذه الآية كانت مادة للصحيفة - دستوردولة أهل المدينة - التى جاء فيها « وما كان بين أهل هذه الصحيفة من إشتجار يخاف فساده فمرده إلى الله وإلى محمد » .. إذن لا يمكن أن يقال أن الصحيفة شاهد على العلمانية التى تخرج مرجعية للكتاب والسنة من العمران .

وأنبه مرة أخرى إلى أنه ليست كل أسباب إنهيار أمتنا هى أسباب وعوامل خارجية .. فالعوامل الداخلية أيضا تلعب دورا .. وأذكر أن مسئول الترجمة فى المركز الفرنسى فى القاهرة أبلغنى بأن مؤسسة الملك عبد العزيز آل مسعود فى المغرب ترجمت كتاب « على عبد الرازق إلى اللغة الفرنسية !! فإذا كانت هذه مؤسسة داخلية قامت بهذا .. إلا أننى أتساءل : من الذى يصنع هذه المخططات ويشرف على هذه الترجمات ؟ وحتى فؤاد زكريا الذى يحمل إسمنا ويعيش فى مجتمعنا ، ولكن من الذى إنتقى له بعض مقالاته وترجمها إلى الفرنسية ليعطيه جائزة فرنسية ؟ الأمر صدر من السفير الفرنسى بالقاهرة ، وهذه حقيقة أنا أعلمها من أناس ليس لهم علاقة بالإسلام أو بالإسلاميين .. إذن

كثير مما نسميه بالعوامل الداخلية ، هى عوامل إما يصنعها الخارج وإما يحرسها .. وكله مخطط واحد .

وجاءتنى ورقة الآن حول إقامة حدود الله .. أقول أن ديننا دين عدل وليس دين عقوبات فقط .. وهناك ضرورات وأولويات فى الشريعة .. فلنقم عدل الله والإسلام ، ومن يخرج على هذا العدل نقيم عليه حدود الإسلام .. نحن لا نعتذر ولا نتنازل ، وإنما نضع الأولويات الطبيعية التى كانت بالفعل منهاج رسول الله ﷺ .. حين صاغ الإنسان إسلاميا ، ثم صاغ المجتمع إسلاميا .. ثم أقام العقوبات والحدود

وإلى الأخ الذى قال أن العلمانيين ليسوا فريقا واحدا .. أقول أن هذا صحيح .. فهناك علمانيون خلافنا معهم فى الأصول .. وهؤلاء هم غلاة العلمانيين الذين يجرحون العقائد .. وأذكر أن أحد القوميين حكى لى عن جلسة جمعته مع فرج فودة - العلمانى - فى أحد المنازل ، وكيف أن فرج فودة جلس لمدة ساعة ونصف يحدثهم عن أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - كانت إمرأة شاذة فهؤلاء الناس - وتلك هى بضاعتهم - لا نسميهم مجرد علمانيين ، بل غلاة العلمانيين .. لأنهم يجرحون الدين والمُعتَقَد وليس خلافهم مع جماعة إسلامية . ولكن هناك أناسا مطلوب أن نحاورهم لوجود مساحة إتفاق بيننا وبينهم ،

ومطلوب أن نكسبهم لفهم كامل الإسلام كمنهاج شامل للواقع الذى نعيش فيه .

وأخيرا .. عن إستخدامى لبعض الكلمات العامية أثناء حديثى .. فأنا أدعوكم لقراءة كتاب « رفع الأصر عن لغة أهل مصر » و الذى رد فيه مؤلفه العامية المصرية إلى « القاموس المحيط » .. وأعتقد أننى لم أقل كلمة عامية تخرج عن هذا الإطار .

وبخصوص المطالبين بالدفاع عن الشيخ الغزالى ، أقول أنه طبيعى جدا أن يهاجم كل من يتعرض للعمل العام ، فكما يسمع المديح .. يسمع النقد وأنا أحيانا أطمئن لموقفى الفكرى عندما ينتقده بعض الناس .. وحقيقة نحن نحارب فى جبهتين .. جبهة التغريب والإستلاب الحضارى والهيمنة الغربية ، وجبهة الجمود .. لذلك نستخدم مصطلح « التخلف الموروث » .. « والوافد الضار » .. فإذا جاءنا النقد من هذين الفريقين فنحن على الوسطية الإسلامية وعلى المنهاج الوسطى السليم .. فدعونا من انتقادات هؤلاء لأنها تطمئننا أكثر مما تقلقنا ؟! .. بل المدهش أن الإنتقادات والهجوم والتجريح الذى وجه إلى القرآن وإلى الذات الإلهية وإلى رسول الله اثبت فى القرآن آيات نتعبد بها الآن .. ومنهج القرآن يقول « هاتوا برهانكم » ولذلك نحن لا نصادر الفكر

الذى يروجه العلمانيون ، لأننا غير عاجزين عن الرد ، ومع ذلك لا نعبأ بإنتقاداتهم ، بل تنبهنا إلى قضايا وأمور مفروض أن نخطط للرد عليها ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٥٠ قرش